

قصص النفاق

وأخبار المنافقين

في الدين والتاريخ والأدب العربي



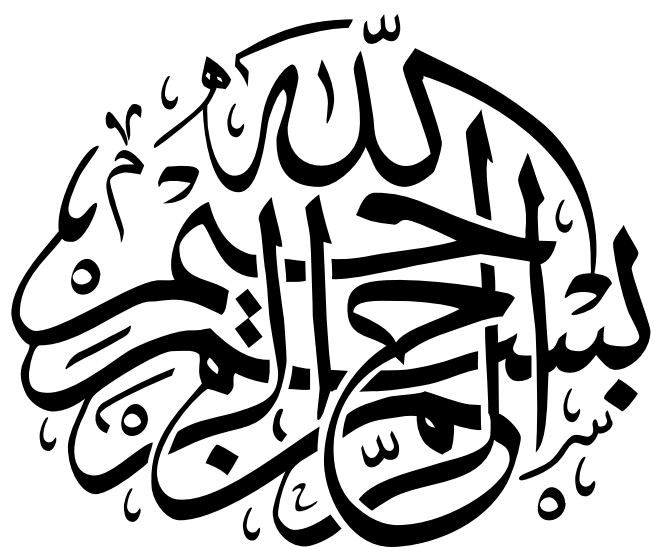
هلال محمد العيسى

دار الكتاب الحديث

قصصُ النفاقِ وأخبارُ المنافقين في الدينِ والتاريخِ والأدبِ العربي

هالَلُ مُحَمَّدٍ الْعِيسَى

دار الكتاب الحديث



مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين . موضوع هذا الكتاب: النفاق والمنافقون وما أنزل الله تعالى فيهم من الآيات فى القرآن الكريم، وما روى عن رسول الله ﷺ من أحاديث فيها ذكر لهم ولأخبارهم . وكذلك ما رواه الصحابة عنهم، وما روى على ألسنة العرب من القصص والأخبار والأقوال .

فالنفاق بلاء قديم قدم الإنسانية، نهى الله عنه فى القرآن الكريم وكذلك نهى رسول الله ﷺ عنه، لما فيه من تزييف وقلب للحقائق، والتقرب إلى البعض على حساب الآخرين . ومن الغريب أن الشخص المُنَافِقَ، يعلم تمام العلم بأن ما يقال عنه غير حقيقى وغير صحيح، ونراه مع ذلك يهش وييش بما يمدح به ويتسم وينظر إلى الآخرين كأنه يقول لهم: انظروا فهذه بعض صفاتى . ونراه يشجع الآخرين على اكتشاف ما خفى من مزاياه وفضائله وعلى مدحه بما يعلم هو تمام العلم ويعلم المنافق له بعدم توفره به .

ومن العجيب أن المنافقين نجدهم يرتقون ويصعدون فى هذه الدنيا إلى الدرجات العالية . وفى الآخرة إذا هم فى الدرك الأسفل من النار . ومصدق هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء] .

لقد جمعت قدر المستطاع ما جاء عنهم من أخبار وأقوال وأفعال وأشعار . وحاولت جاهدا أن ألتزم بالتحقيق الدقيق للنصوص، بمراجعتها على أكثر من مصدر عند الضرورة، وقمت بجمع نصوص الموضوع الواحد المتفرقة فى المصادر بقدر الإمكان بتصرف لا يخل بالنص الأساسى والجوهرى لمضمون النص نفسه، مع الإشارة للمصادر الأساسية المستقى منها النص . ووجدت أن بعض المواد

المذكورة، قد تكون بها بعض الكلمات الناقصة أو الساقطة من الطباعة، فأضفت من عندى عند الضرورة ما يساعد على التوضيح دون الخروج عن الإطار العام للموضوع، ولم أتدخل بحذف وإضافة إلا إذا استدعى السياق العام للموضوع ذلك. وأشارت إلى الإضافة التى أضفتها ووضعتها بين مربعين [] إشارة إلى أنه منى وليس من الكاتب أو المحقق.

ولقد اعتمدت على أوثق المصادر. فمصادرى كانت كثيرة ومتشعبة، منها القرآن الكريم وكتب الحديث والتفاسير وكذلك كتب التراث الأدبى وكتب التاريخ وسير الرجال والأمثال والمعاجم. وخرجت الآيات القرآنية فأعدتها إلى سورها وأرقامها وقمت بتشكيل الأشعار والألفاظ، وكل ما يمكن أن يلتبس معناه إذا أُهمل تشكيله. وكذلك قمت بشرح لمعانى الكلمات الصعبة التى وردت فى الكتاب. كذلك أكملت بعض الأبيات والقصائد الشعرية الناقصة، من خلال دواوين الشعراء أو المراجع، وعرفت بالأعلام، ووضعت للكتاب فهرسين: الأول للمراجع والثانى لأبواب الكتاب. والكتاب مكون من سبعة أبواب:

الباب الأول: النفاق لغةً وشرعاً.

الباب الثانى: القرآن الكريم والمنافقون.

الباب الثالث: الأحاديث النبوية والنفاق.

الباب الرابع: الفرق بين المدح والثناء وشكر النعمة والنفاق.

الباب الخامس: قصص المنافقين وأخبارهم.

الباب السادس: قالوا فى النفاق.

الباب السابع: الشعراء والنفاق.

وإننى بهذا العمل أرجو أن أقدم لقراء العربية عملاً يحوز رضاهم، وهو ما
أصبر إليه، فهذا ما يعزى لى لقاء ما أنفقت فى من جهد وعناء .
أسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة . .

هلال محمد العيسى

شكر خاص



أتوجه بالامتنان العظيم للمستشار/ عبد العظيم بن أحمد الحلفاوى أمد الله
فى عمره ومتعته بالصحة والعافية، الذى تفضل مشكورا بمراجعة مادة هذا الكتاب
فقام على ذلك خير قيام، وقدم له مقدمة أغنتنى عن كتابة توطئة للكتاب. فجزاه
الله خير الجزاء..

هلال محمد العيسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية:

تلقت الكاتب حوله، يجس نبض ما يدور من أمور الحياة، فراعته ظاهرة تفشت كالمرض المعدى بين الكثيرين من ذوى المنافع الخاصة، أولئك الذين لا يصلون إلى رغباتهم إلا إذا حملوا شهادة هذا الداء الوبيل ضمن مسوغاتهم يفتحون به ما أغلق أمامهم من أبواب على مآرب يبتغونها.

وجد أمامه هذا اللون من الممارسات اللاإنسانية، التى كادت تهيمن على المعاملات، وأصبحت وسيلة يتخذونها من أى طريق، وبأى طريق، وسيلة بسطت نفوذها وأحكمت أسرها، وصارت تقريباً لغة العصر. . ألا وهى النفاق.!

والنفاق مدحك غيرك بما ليس فيه ابتغاء مرضاته، للفوز بمكرمة تراها بدون النفاق عسيرة، وشر ما فى الإنسان رضاه عن نفسه، فيخدع بمدحه وثنائه فتلين عريكته، ويؤمن للمنافق طلبته ولو على حساب غيره.

عز على المؤلف هذا اللون من الأخذ والعطاء بين البعض، فدفعه شعوره إلى أن يكتب للقراء فى هذا، يعرض عليهم رؤيته، ضارباً الأمثال بما كان يمارس منه فى الماضى وانتقلت عدواه إلى الحاضر.

رغب المؤلف أن يكون القارئ الكريم على بينة من الأمر، ليكون على حذر وليحارب هذه الفئة التى ترغب فى الوصول بسرعة دون حق، ترى جواز ما تفعل، وهو فى الواقع سلوك جائر وظالم.

أذكر أن النبى ﷺ فى أحد مجالسه سمع بعضهم يشنى على رجل ويبالغ فى مدحه فنهاهم رسول الله ﷺ وقال لهم ما معناه: كفوا فقد قصمت ظهر الرجل.

إن الله سبحانه وتعالى أشد ما يكره المنافقين، وفي آية كريمة في سورة النساء قدمهم على الكافرين فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ قدمهم في العقاب. . هؤلاء هم أصحاب الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا.

ثم إن هؤلاء سورة حملت اسمهم في القرآن الكريم، تشهر بسلوكهم، وتبسط نواياهم لعل فيها من العظة ما ينفع ومن الدعاية لآثامهم ما يفيد، ويكفي أن المنافقين حقت عليهم لعنة الله سبحانه وتعالى، وهذا قوله جل وعلا يؤيد ذلك حيث يقول عز من قائل: ﴿لَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾ [الأحزاب]. صدق الله العظيم. .

عبد العظيم بن أحمد الحلفاوى

الباب الأول

النفاق لغةً وشرعاً

1 - نفقت الدابة: ماتت. ونفق البيع: ينفق بالضم نفاقا راج. والنفاق: فعل المنافق. وأنفق الرجل: افتقر وذهب ماله، ومنه قوله تعالى: ﴿... إِذَا لَأْمَسْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ...﴾ [الإسراء]، وأنفق الدراهم: من النفقة. والنفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان. ونيفق السراويل: الموضع المتسع..

2 - النفاق وما تصرف منه اسما وفعلًا: هو اسم، جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، ولم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، وهو مأخوذ من النافقاء أحد حجرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النفق وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره، وفي حديث حنظلة: نافق حنظلة⁽¹⁾ أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها. فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفيه: أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها⁽²⁾ أراد النفاق هاهنا الرياء لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن..

3 - والذي فسره به أهل العلم المعتبرون: أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه، وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما النفاق الأكبر: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه. وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

(1) صحيح مسلم ج 4 ص 2107.

(2) مسند الإمام أحمد ج 2 ص 175.

والقسم الثانى النفاق الأصغر: وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك.

وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة فى هذه الأحاديث وهى خمس:

الأول: أن يحدث بحديث لم يصدق به وهو كاذب له. وفى المسند عن النبى ﷺ قال: كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت به كاذب.

وقال الحسن: كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج. وكان يقال: أس النفاق الذى بنى عليه الكذب.

والثانى: إذا وعد أخلف. وهو على نوعين: أحدهما أن يعد وفى نيته أن لا يوفى بوعده وهذا أشر الخلق. ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته أن لا يفعل كان كذبا وخلفا. قاله الأوزاعى. ! [النوع] الثانى: أن يعد وفى نيته أن يفى ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له فى الخلف. وخرج أبو داود والترمذى من حديث زيد بن أرقم عن النبى ﷺ قال: إذا وعد الرجل ونوى أن يفى به فلم يف فلا جناح عليه، وقال الترمذى: ليس إسناده بالقوى. وخرج الإسماعيلى وغيره من حديث سلمان أن عليا لقي أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقال: مالى أراكما ثقلين.؟ قالوا: حديث سمعناه من النبى ﷺ ذكر خلال المنافق: إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان. فأينا ينجو من هذه الخصال.؟ فدخل على النبى ﷺ فذكر له ذلك، فقال ﷺ: قد حدثتهما ولم أضعه على الوضع الذى تضعونه، ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث نفسه أن يكذب، وإذا وعد وهو يحدث نفسه أن يخلف، وإذا أؤتمن وهو يحدث نفسه أن يخون. وقال أبو حاتم الرازى: فى هذا الحديث من رواية سلمان وزيد بن أرقم الحديثان مضطربان والإسنادان مجهولان، وقال الدارقطنى: الحديث مضطرب غير ثابت والله أعلم وخرجه الطبرانى والإسماعيلى. وقد اختلف العلماء فى وجوب الوفاء بالوعد:

فمنهم من أوجبه مطلقا، وذكر البخارى فى صحيحه أن ابن أشوع قضى بالوعد وهو قول طائفة من أهل الظاهر وغيرهم، ومنهم من أوجب الوفاء به إذا اقتضى نفعا للموعد، وهو المحكى عن مالك، وكثير من الفقهاء لا يوجبونه مطلقا.

والثالث: إذا خاصم فجر. ويعنى بالفجور أن يخرج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا والباطل حقا، وهذا مما يدعو إليه الكذب كما قال النبى ﷺ: إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار.

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ: إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم، وقال ﷺ: إنكم لتختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضى على نحو مما أسمع، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار. وقال ﷺ: إن من البيان لسحرا. فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة، سواء كانت خصومته فى الدين أو فى الدنيا، على أن ينتصر للباطل ويخيل للسامع أنه حق، ويوهن الحق ويخرجه فى صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات وأخبث خصال النفاق.

وفى سنن أبى داود عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: من خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع. وفى رواية له أيضا: ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله.

الرابع: إذا عاهد غدر، ولم يف بالعهد. وقد أمر الله بالوفاء بالعهد فقال تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

وفى الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به. وفى رواية: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: ألا هذه غدرة فلان. وخرجاه أيضا من حديث أنس بمعناه وخرج مسلم من حديث أبى سعيد عن النبي ﷺ قال: لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به، والغدر حرام فى كل عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافرا. ولهذا فى حديث عبدالله ابن عمرو عن النبي ﷺ: من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما. خرجه البخارى.

وقد أمر الله تعالى فى كتابه الوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئا، وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد ونقضها أعظم إثما، ومن أعظمها نقض عهد الإمام على من تابعه ورضى به، وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم، فذكر منهم، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفى له، وإلا لم يف له. ويدخل فى العهود التى يجب الوفاء بها ويحرم الغدر، جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبيعات والمناكحات، وغيرها من العقود اللازمة التى يجب الوفاء بها، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربه عليه من نذر التبرر ونحوه.

الخامس: الخيانة فى الأمانة. فإذا أوثمن الرجل أمانة فالواجب عليه أن يردها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النساء]، وقال النبي ﷺ: أد الأمانة إلى من ائتمنك. وقال فى خطبته فى حجة الوداع: من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال]. فالخيانة فى الأمانة من خصال النفاق.

وحاصل الأمر: أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن. وقال أيضا: من النفاق اختلاف القلب واللسان واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج.

4 - وقال الحافظ في الفتح: النفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتفاوت مراتبه..



الباب الثاني

القرآن الكريم والمنافقون

1 - قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يُوَفُّكَونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون].

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) يا محمد (قَالُوا) بألسنتهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) قال المنافقون ذلك أو لم يقولوا (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك. وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمروا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهره، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهره. (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) يقول تعالى ذكره: اتخذ المنافقون أيمانهم جنة وهي حلفهم عن قتادة: أى حلفهم جنة. (جَنَّةٌ) سترة يستترون بها ليعصموا بها دماءهم وأموالهم، فيمنعون بها أنفسهم وذرائعهم وأموالهم، ويدفعون بها عنها (إِنَّهُمْ سَاءَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي اتِّخَاذِهِمْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً، لَكُذِبِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ. (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ كَفَرُوا بِشَكْهِمْ فِي ذَلِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ بِهِ. (فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) فَجَعَلَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ خَتَمًا بِالْكَفْرِ عَنِ الْإِيمَانِ (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ صَوَابًا مِنْ خَطَأٍ، وَحَقًّا مِنْ بَاطِلٍ لَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وَكَانَ قِتَادَةٌ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: أَقْرَأُوا بِمَا إِلَّا اللَّهَ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقُلُوبُهُمْ مَنكَرَةٌ تَأْبَى ذَلِكَ. (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) وَإِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدٌ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ لَاسْتَوَاءَ خَلْقِهَا وَحَسَنَ صَوْرِهَا (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) وَإِنْ يَتَكَلَّمُوا تَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، يَشْبَهُ مَنْطِقُهُمْ مَنْطِقَ النَّاسِ (كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ) كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ لَا خَيْرَ عِنْدَهُمْ وَلَا فَهْمَ لَهُمْ وَلَا عِلْمَ وَإِنَّمَا هُمْ صُورٌ بَلَا أَحْلَامَ، وَأَشْبَاحٌ بَلَا عُقُولَ (يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) يَحْسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ خَبَثِهِمْ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ، وَقَلَّةِ يَقِينِهِمْ كُلِّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ عَلَى وَجَلٍ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَمْرًا يَهْتِكُ بِهِ أَسْتَارَهُمْ وَيُفْضِحُهُمْ، وَيَبِيحُ لِلْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهُمْ وَسَبِي ذُرَارِيهِمْ وَأَخْذَ أَمْوَالِهِمْ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، كَلِمًا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَحَى عَلَى رَسُولِهِ ظَنُّوا أَنَّهُ نَزَلَ بِهِلَاكِهِمْ وَعَظَبِهِمْ (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ) يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: هُمُ الْعَدُوُّ يَا مُحَمَّدُ فَاحْذَرُوهُمْ، فَإِنْ أَلَسْتَهُمْ إِذَا لَقَوْكُمْ مَعَكُمْ وَقُلُوبُهُمْ عَلَيْكُمْ مَعَ أَعْدَائِكُمْ، فَهُمْ عَيْنٌ لِأَعْدَائِكُمْ عَلَيْكُمْ. (قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ) أَخْزَاهُمُ اللَّهُ إِلَى أَى وَجْهِ يَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ. (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ) وَإِذَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: تَعَالَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ، يَقُولُ: حَرَكُوهَا وَهَزُوهَا اسْتَهْزَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِاسْتِغْفَارِهِ (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) وَرَأَيْتَهُمْ يَعْرِضُونَ عَمَّا دَعَا إِلَيْهِ وَجُوهَهُمْ (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْمَصِيرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا عَنِ بَهْذَةِ الْآيَاتِ كُلِّهَا فِيمَا ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَلَلٍ.

- جاء في أخبار المدينة: قال الليث: إن النبي ﷺ قال لابنه: ما اسمك؟ قال: حباب، قال: حباب اسم شيطان، اسمك عبد الله، فلما دنوا من المدينة أخذ عبدالله بزمام راحلة عبد الله بن أبي فقال: لا والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ حتى تعلم أنه الأعز وأنت الأذل. فجعل الناس يقبلون فيقفون حتى أتى النبي ﷺ فقال: ما هذه الجماعة؟ فأخبروه. فقال: مروه فليخل سبيله. قال: فلما دخلوا قال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فجأ في أفقية المنافقين حتى تخرجهم من المسجد. قال: بلى يا رسول الله، قال: ابن أبي بن سلول وفلان وفلان، ففعل بلال فوجأ في رقبة ابن أبي حتى أخرجه من المسجد، فلقبه عمر رضي الله عنه وهو خارج من المسجد متغير اللون والحال فقال: ما بك يا عبدالله بن أبي؟ قال: ما أدري ما لنا ولكم إنا لنصلى كما تصلون ونقرأ كما تقرأون وننطق كما تنطقون، فقال عمر رضي الله عنه: وما ذاك؟ قال: أمر النبي فوجأ في رقبتى حتى أخرجني من المسجد. فقال عمر: فارجع حتى يستغفر لك رسول الله ﷺ، فلوى عنقه وقال: واعجبا مم يستغفر لي؟ أقلت هجوا يستغفر لي منه؟!!

فأنزل الله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَوَّاءُ رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ). (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله (أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) ذنوبهم (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه، الكافرين به الخارجين عن طاعته. (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَنْ رَجَعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ).

عن عمر مولى عفرة وغيره: أن الذي أنزل في قول عبد الله بن أبي: كان في غزوة بنى المصطلق، وذلك أن المهاجرين والأنصار وردت سقاتهم الماء فقل

عليهم فتنازعوا، فغلب المهاجرون الأنصار على الماء، فغضب ناس منهم فأتوا ابن أبي فذكروا ذلك، فقال: هذا ما جازونا به، آويناهم ومنعناهم ثم هؤلاء يقاتلون، هو عملكم، لولا أنكم تنفقون على من معه لتفرقوا عنه، والله لولا نفقتكم على هؤلاء السفهاء الذين ليس لهم شيء ما ركبوا رقابكم، وما خرج معهم رجل واحد منهم وللحقوا بعشائهم، فالتمسوا العيش.

يا بنى الخزرج عليكم صاحبكم وحليفكم، ثم قال: والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك!! ولو أنا قد رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل! فأحصى الله عز وجل عليه ما قال. وسمع زيد بن أرقم قول عبد الله بن أبي فأخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى رسول الله فقال يا رسول الله: هل لك في ابن أبي فإنه يقول آنفا: والله لولا نفقتكم على هؤلاء السفهاء الذين ليس لهم شيء إلا ما ركبوا رقابكم وما اتبعه منهم رجل وللحقوا بعشائهم فالتمسوا العيش، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. وقال عمر: فابعث إليه يا رسول الله عباد بن بشر أو معاذ بن عمرو بن الجموح فليقتله وليضرب عنق هذا المنافق؟ فقال ﷺ: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. فلما رأى ذلك عمر سكت. فأمر ﷺ أن يؤذن في الناس بالرحيل ليشغل بعضهم عن بعض، فأقبل الناس على الرحيل وتركوا الماء. فدعا النبي عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان رجلا صالحا إن شاء الله فقال له: ألم تعلم ما بلغني عن أبيك إنه قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال: صدق يا رسول الله وهو كاذب. أنت الأعز وهو الأذل. فإن شئت جئتك برأسه. وقد علمت الأنصار ما ولد قط أبر به مني. حتى إنى لأستحي أن أنظر في وجهه. فأما فيك، فإن أمرتني قتلته. فقال النبي ﷺ: لا تأمرك بعقوق أبيك ثم أنذره.

وتحدث أهل عسكر رسول الله ﷺ بكلمة عبد الله بن أبي وأفاضوا فيها، فأذن مكانه بالرحيل ولم يتقار⁽¹⁾ فى منزله ولم يكن إلا أن نزل فارتحل! فلما استقل الناس قالوا: ما شأن رسول الله لم يتقار فى منزله، لقد جاءه خبر لعله أغير على المدينة وما فيها، فبعث النبي ﷺ إلى [عبد الله] ابن أبي فسأله عما تكلم به فحلف بالله ما قال من ذلك شيئاً! فقال النبي ﷺ: إن كان سبق منك قول شيء فتب. فجحد وحلف! فوقع رجل بيزيد بن أرقم وقال: أسأت بابت عمك وظلمته ولم يصدقك رسول الله. فبينما هم يسرون رأوا النبي ﷺ يوحى إليه، فلما قضى الله قضاءه فى موطنه وسرى عنه، نظر فإذا هو بيزيد بن أرقم، فأخذ بأذنه فعصرها حتى استشرف القوم بفعل رسول الله ﷺ ولا يدرون ما شأنه، فقال ﷺ: أبشر، فقد صدق الله حديثك. فقرأ عليه سورة المنافقين. فلما نزل رسول الله بقباء من طريق عمق سرح الناس ظهرهم وأخذتهم ريح شديدة حتى قال الناس: يا رسول الله ما شأن هذه الرياح؟ فزعموا أنه قال: مات اليوم منافق عظيم النفاق ولذلك عصفت وليس عليكم منها بأس إن شاء الله، وكان موته غائظاً للمنافقين. قال جابر بن عبد الله: فرجعنا إلى المدينة فوجدنا منافقاً عظيماً النفاق مات يومئذ وسكنت الرياح آخر النهار فجمع الناس ظهرهم.

وفقدت راحلة رسول الله ﷺ من بين الإبل، فسعى الرجال يلتمسونها، فقال رجل من المنافقين كان فى رفقة من الأنصار: أين يسعى هؤلاء الرجال؟ قال أصحابه: يلتمسون راحلة رسول الله ﷺ، فقال المنافق: ألا يحدثه الله بمكان راحلته؟ فأنكر عليه أصحابه ما قال وقالوا: قاتلك الله نافقت. فلم خرجت وهذا فى نفسك؟ لا صحبتنا ساعة. فمكث المنافق معهم شيئاً ثم قام وتركهم، فعمد لرسول الله فسمع الحديث، فوجد الله قد حدثه حديثه.

(1) يتقار: يستقر.

فقال رسول الله: والمنافق يسمع، إن رجلا من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله وقال: ألا يحدثه الله بمكان ناقتة، وإن الله قد أخبرني بمكانها، ولا يعلم الغيب إلا الله، وإنها في الشعب المقابل لكم قد تعلق زمامها بشجرة، فعمدوا إليها فجاءوا بها، وأقبل المنافق سريعا حتى أتى الذين قال عندهم ما قال فإذا هم جلوس مكانهم لم يقم منهم من مجلسه [أحد]. فقال: أنشدكم بالله هل أتى منكم أحد محمدا فأخبره بالذي قلت؟ قالوا: اللهم لا ولا قمنا من مجلسنا هذا بعد. قال: فإنني قد وجدت عند القوم حديثي والله لكأني لم أسلم إلا اليوم، وإن كنت لفي شك من شأنه فأشهد أنه رسول الله، فقال له أصحابه: فاذهب إليه فليستغفر لك، فزعموا أنه ذهب إليه فاعترف بذنبه فاستغفر له رسول الله ﷺ. ويزعمون أنه ابن اللصيت.

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ) لا توجب لكم أموالكم (وَلَا أَوْلَادُكُمْ) اللّهُ (عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) وهو من ألهيته عن كذا وكذا، فلها وقيل: عنى بذكر الله جل ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس. (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ) هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى. (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) أنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا رب هلا أخرتني فتمهل لى في الأجل إلى أجل قريب فأصدق وأزكى مالى (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) أى وأعمل بطاعتك، وأودى فرائضك (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) لن يؤخر الله فى أجل أحد فيمد له فيه إذا حضر أجله، ولكنه يخترمه (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبده هو بجميعها محيط، لا يخفى عليه شىء، وهو مجازيهم بها، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

2 - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة]، عن قتادة قال: هذا نعت المنافق، نعت عبدا خائن السريرة، كثير الإخلاف يعرف بلسانه وينكر بقلبه ويصدق بلسانه ويخالف بعمله، ويصبح على حال ويمسى على غيره ويتكفأ تكفؤ السفينة كلما هبت ريح هب فيها. وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: هم المنافقون، وعن ابن جريج قال: هذا المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه..

3 - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة]، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ هم المنافقون، أما (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) فَإِنَّ الْفُسَادَ هُوَ الْكُفْرُ وَالْعَمَلُ بِالْمَعْصِيَةِ. وعن الربيع يقول: لا تعصوا في الأرض. قال: فكان فسادهم على أنفسهم معصية الله جل ثناؤه لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض، لأن إصلاح الأرض والسماء بالطاعة. وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: إن قول الله تبارك اسمه. وقيل: نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وإن كان معناها بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة..

- قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة] وهذا القول من الله جل ثناؤه تكذيب للمنافقين في دعواهم، إذا أمروا بطاعة الله فيما أمرهم الله به ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه. قالوا: إنما نحن مصلحون لا مفسدون، ونحن على رشد وهدى فيما أنكرتموه علينا دونكم لا ضالون. فكذبهم الله عز وجل في ذلك من قيلهم، فقال: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) المخالفون أمر الله عز وجل، المتعدون حدوده الراكبون معصيته، التاركون فروضه وهم لا يشعرون ولا يدرون أنهم كذلك، لا الذين يأمرونهم بالقسط من المؤمنين وينهونهم عن معاصي الله في أرضه من المسلمين..

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، فمعنى الكلام، وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مردتهم من المنافقين والمشركين قالوا: إنا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد وبما جاء به، ومعاداته ومعاداة أتباعه إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد في قولنا لهم إذا لقيناكم آمننا بالله وباليوم الآخر .

- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، قال أبو جعفر: إن المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا؛ لأن الرابح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلا هو أنفس من سلعته أو أفضل من ثمنها الذى يتاعها به، فأما المستبدل من سلعته بدلا دونها ودون الثمن الذى يتاعها به فهو الخاسر فى تجارته لا شك، فكذلك الكافر والمنافق؛ لأنهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى، والخوف والرعب على الحفظ والأمن، فاستبدلا بالرشاد الحيرة وبالهدى الضلالة وبالحفظ الخوف وبالأمن الرعب، مع ما قد أعد لهما فى الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب فخابا وخسرا، ذلك هو الخسران المبين .

- قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] معنى الكلام: فكذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون بعد الضياء الذى كانوا فيه فى الدنيا بما كانوا يظهرون بألستهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون، كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد بانطفاء ناره وخمودها، فبقى فى ظلمة لا يبصر .

- قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير [البقرة: ٢٠] . عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى

ﷺ: الصيب: المطر. كانا رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذى ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أضاء لهما الصواعق أصابعهما فى آذانهما من الفرق، [الخوف] أن تدخل الصواعق فى مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشوا فى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، قاما مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمدا فنضع أيدينا فى يده، فأصبحا فأتياه فأسلما ووضعَا أيديهما فى يده وحسن إسلامهما.

فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة، وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ، جعلوا أصابعهم فى آذانهم فرقا من كلام النبي أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا. فإذا كثرت أموالهم وولد لهم وأصابوا غنيمة أو فتحا قالوا: إن دين محمد دين صدق، وإذا هلكت أموالهم وولد لهم الجوارى وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمد فارتدوا كفارا (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال أبو جعفر: وإنما وصف الله نفسه جل ذكره بالقدرة على كل شيء فى هذا الموضع، لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير، فاحذروا أيها المنافقون خداعى وخداع رسولى وأهل الإيمان [وإلا حلت] بكم نقمى فإنى على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير .

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة]، قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفى تأويلها، فعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: لما

ضرب الله هذين المثليين للمنافقين يعنى قوله مثلهم: (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا) وقوله: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ) الآيات الثلاث قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال. فأنزل الله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً) إلى قوله: (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ). وعن الربيع بن أنس قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا إن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل فى القرآن، إذا امتلأوا من الدنيا ربا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام].

(وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ [أن المراد] هم المنافقون .

- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة]، قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) استعينوا على الوفاء بعهدى الذى عاهدتمونى فى كتابكم، من طاعتى واتباع أمرى، وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا إلى ما تكرهونه من التسليم لأمرى، واتباع رسولى محمد ﷺ. وتأويل ذلك: أن الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على ما كرهته نفوسهم من طاعة الله، وترك معاصيه. وأصل الصبر: منع النفس محابها وكفها عن هواها. ولذلك قيل للصابر على المصيبة: صابر، لكفه نفسه عن الجزع؛ وقيل لشهر رمضان: شهر الصبر، لصبر صائمه عن المطاعم والمشارب نهارا، قال ابن زيد فى قوله: (وَالصَّلَاةِ) قال المشركون: والله يا محمد إنك لتدعونا إلى أمر كبير، قال: إلى الصلاة والإيمان بالله (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) لشديدة ثقلية. (إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعدده ووعيده.

4 - قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة]، عن قتادة

قال: صلت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي ﷺ المدينة وصلى نبي الله بعد قدومه المدينة مهاجرا، نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا. ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام، فقال في ذلك قائلون من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، لقد اشتاق الرجل إلى مولده، فقال الله عز وجل: (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وقال أبو ذر: السفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل، واختلف في المراد بالسفهاء فقال البراء وابن عباس ومجاهد: هم اليهود. وأخرج ذلك الطبري عنهم بأسانيد صحيحة. وروى من طريق السدي قال: هم المنافقون والمراد بالسفهاء الكفار وأهل النفاق واليهود، أما الكفار فقالوا: لما حولت القبلة رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنا على الحق! وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولا على الحق فالذي انتقل إليه باطل. وكذلك بالعكس! وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبيا لما خالف! فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة].

5 - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) [البقرة]، وهذا نعت من الله تبارك وتعالى للمنافقين، بقوله جل ثناؤه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ) يا محمد ظاهر (قَوْلُهُ) وعلا نيته، (وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)، جدل بالباطل. ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية، قال بعضهم: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، أقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام والله

يعلم أنى صادق. وذلك قوله: (وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) ثم خرج من عند النبي ﷺ، فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر! فأنزل الله عز وجل: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) فأعوج الخصام، وفيه نزل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة] ونزلت فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿هَمَزٌ مِّشَاءٌ بَنَمِيمٍ﴾ ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم].

وقال آخرون: بل نزل ذلك فى قوم من أهل النفاق، تكلموا فى السرية التى أصيبت لرسول الله ﷺ بالرجيع. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس قال: لما أصيبت سرية خبيب بالرجيع بين مكة والمدينة، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المقتولين الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا فى بيوتهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر فى الشهادة والخير من الله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى ما يظهر بلسانه من الإسلام (وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) أى من النفاق (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) أى ذو جدال إذا كلمك وراجعك (وَإِذَا تَوَلَّى) أى خرج من عندك (سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) أى لا يحب عمله ولا يرضاه، (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبْهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) * (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) وإذا قيل لهذا المنافق الذى نعت نعتة لنبيه ﷺ وأخبره أنه يعجبه قوله فى الحياة الدنيا: اتق الله وخفه فى إفسادك فى أرض الله وسعيك فيها بما حرم الله عليك من معاصيه، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم؛ استكبر ودخلته عزة وحمية بما حرم الله عليه وتمادى فى غيه وضلاله. قال الله جل ثناؤه: فكفاه عقوبة من غيه وضلاله صلى نار جهنم (وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) لصاليها. ولبئس الفراش والوطاء جهنم التى أوعدها بها جل ثناؤه هذا المنافق، ووطأها لنفسه بنفاقه وفجوره وتمرده على ربه.

عن سعيد: إن في بعض الكتب: إن لله عبدا أَلَسْتَهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، قلوبهم أمر من الصبر، لبسوا للناس مسوك الضأن من اللين، يجترونها الدنيا بالدين! قال الله تبارك وتعالى: أَعْلَى يَجْتَرُونَ، وبى يغترون؟ وعزتي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران. فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله جل ثناؤه فقال سعيد: وأين هو من كتاب الله؟ قال: قول الله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾) فقال سعيد: قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية. فقال محمد بن كعب: إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد.

- قوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة] يقول: لا يسددهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، وهم للباطل مؤثرون، ولكنه تركهم في ضلالهم يعمهون، فقال تعالى ذكره للمؤمنين: لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنكم على من تصدقتم بها عليه، كما أبطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رياء الناس، وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله..

- قوله تعالى: ﴿... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران]، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: أما الزيف فالشك. وعن مجاهد قال: زيف شك. وقال ابن جريج: الذين في قلوبهم زيف المنافقون..

6 - قوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران] قال محمد ابن إسحاق: أي المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية..

7 - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي

رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [آل عمران] عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي وقد ورد هذا الحديث من طرق: يعنى يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة. (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) قال الحسن البصرى: هم المنافقون، كانوا أعطوا كلمة الأيمان بالستهم فأنكروها فى قلوبهم وأعمالهم (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) وهذا الوصف يعم كل كافر، (وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، يعنى الجنة ماكثون فيها أبدا لا ييغون عنها حولا..

8 - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران] لن تغنى عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم، ولا أولادهم فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم، (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول هؤلاء الذين تولوا قوما غضب الله عليهم وهم المنافقون أصحاب النار، يعنى أهلها الذين هم فيها خالدون، يقول هم فى النار ماكثون إلى غير نهاية..

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران] عن السدى: أما البطانة فهم المنافقون.

- قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران] ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، فتودونهم وتواصلونهم، وهم لا يحبونكم، بل ينتظرون لكم العداوة والغش، (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) ومعنى الكتاب فى هذا الموضع، معنى الجمع بالكتب كلها، كتابكم الذى أنزل الله إليكم وكتابهم الذى أنزله إليهم، وغير ذلك من الكتب التى أنزلها الله على عباده. يقول تعالى

ذكره: فأنتم إذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها، وتعلمون أن الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم، كفار بذلك كله، بجحودهم ذلك كله من عهود الله إليهم، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه، أولى بعداوتكم إياهم وبغضائهم.

وفى هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين، أعنى المؤمنين والكافرين، ورحمة أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان. (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) إن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم، ووصفهم بصفتهم إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أعطوهم بألستهم تقية، حذرا على أنفسهم منهم، فقالوا لهم: قد آمننا وصدقنا بما جاء به محمد ﷺ، وإذا هم خلوا فصاروا فى خلاء حيث لا يراهم المؤمنون، عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم، (الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) أطراف الأصابع، تغیظا مما بهم من الموجدة عليهم، وأسى على ظهر يسندون إليه لمكاشفتهم العداوة ومناجزتهم المحاربة. (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم، وأخبرتكم أنهم إذا لقوا أصحابك، قالوا آمنا، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغیظ. موتوا بغیظكم الذى بكم على المؤمنين، لاجتماع كلمتهم وائتلاف جماعتهم. وخرج هذا الكلام مخرج الأمر، وهو دعاء من الله نبيه محمدا ﷺ بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمدا مما بهم من الغیظ على المؤمنين قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت فى دينهم والضلالة بعد هداهم، فقال لنبيه ﷺ قل يا محمد، اهلكوا بغیظكم، (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) إن الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء وما ينطوون لهم عليه من الغل والغم ومن الشر، حتى يجازى جميعهم على ما قدم من خير وشر، واعتقد من إيمان وكفر،

وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غل وغمر. عن قتادة: فوالله إن المؤمن ليحب المنافق ويأوى له ويرحمه. وعن ابن جريج قال: المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن، يرحمه، ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لأباد خضره. وكان مجاهد يقول: نزلت هذه الآية في المنافقين..

9 - قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران] عن الربيع قال: هم المنافقون إذا رأوا من أهل الإسلام جماعة ظهرُوا على عدوهم غاظم ذلك غيظا شديدا وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافا، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك. (إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) قال مقاتل بن حيان: أحاط علمه بأعمالهم، ومنهم من يقول: أنزلت في المنافقين..

10 - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران] عن ابن عمر: أنه سمع رسول الله ﷺ قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركعة قال: ربنا ولك الحمد في الركعة الآخرة، ثم قال: اللهم العن فلانا وفلانا، دعا على ناس من المنافقين، فأنزل الله (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)..

11 - قوله تعالى: ﴿... وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران] قال محمد بن إسحاق: أى يبطل من المنافقين قولهم بألستهم ما ليس فى قلوبهم، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به منكم..

12 - قوله تعالى: ﴿... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران] قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين، لو كنتم فى بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم

من المشركين، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم وتكتمونه من شرككم في دينكم، (لَبَّرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ) لظهر للموضع الذى كتب عليه مصرعه فيه من كتب عليه القتل منهم، أى: يخرج من بيته إليه حتى يصرع فى الموضع الذى كتب عليه أن يصرع فيه. (وَلَيَبْتَلىَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ) أيها المنافقون وليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك، فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من الشك والمرض فيعرفونكم من أهل الإخلاص واليقين (وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) وليتبينوا ما فى قلوبكم لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين من العداوة (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) من خير وشر وإيمان وكفر لا يخفى عليه شئ من أمورهم سرائرها وعلايتها، وهو لجميع ذلك حافظ حتى يجازى جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم وليختبر أولياء الله وأهل طاعته.

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران] عن السدى قال: هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبى . .

13 - قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران] فالشديد يشدد على نفسه فى الأحوال ويعسر ويضيق، وكذلك على الخلق، فهو من نفسه فى تعب والخلق منه فى أذى، واللين قلبه رطب بماء الرحمة، وانتشف ماء الرحمة ييوسة نفسه وأذهب حزازتها وأذهب قسوة قلبه، فمن لم يكن له وفارة حظ من الرحمة وجدته حديد النفس يابس الخلق قاسى القلب مكدود الروح مظلم الصدر عابس الوجه منكر الطلعة، ذاهبا بنفسه تيهها وعظمة، غليظ الرقبة سمين الكلام عظيم النفاق قليل الذكر لله تعالى ولدار الآخرة ولهادم اللذات . .

14 - قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران]. يعنى تعالى ذكره بذلك عبدالله بن أبى ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه حين سار إلى المشركين بأحد لقتالهم فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا. ! فقالوا: لو نعلم أنكم تقتاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال. فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتُمونه وأبدوا بالسستهم بقولهم: (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ) غير ما كانوا يكتُمونه ويخفونه من عداوة رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به.

عن الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم، قد حدث، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى أحد فى ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط، بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبى بن سلول بثلاث الناس! فقال: والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب. واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم. فقالوا: لو نعلم أنكم تقتاتلون ما أسلمناكم، ولكن لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغنى الله عنكم. ومضى رسول الله ﷺ. (هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ) وليس فى قلوبهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) أى يخفون، هؤلاء المنافقون الذين يقولون، من العداوة والشنآن، وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا

عنهم، وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك مطلع عليه، ومحصيه عليهم حتى يهتك أستارهم في عاجل الدنيا، فيفضحهم به، ويصليهم به الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

(الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأحد يوم أحد، فقتلوا هنالك من عشائرتهم وقومهم، (وَقَعَدُوا) يعنى: وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع إخوانهم وعشائرتهم في سبيل الله (لَوْ أَطَاعُونَا) يعنى: من قتل بأحد من إخواننا وعشائرتنا (مَا قُتِلُوا) يعنى: ما قتلوا هنالك. قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين: (فَادْرَءُوا) فادفعوا إن كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم: لو أطاعنا إخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد وقاتلهم أبا سفيان ومن معه من قريش ما قتلوا هنالك بالسيف، ولكانوا أحياء بقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد ﷺ وشهود جهاد أعداء الله معه؛ (الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فإنكم قد قعدتم عن حربهم، وقد تخلفتم عن جهادهم، وأنتم لا محالة ميتون..

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران] يقول جل ثناؤه: ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن يضرروا الله بمسارعتهم في الكفر شيئاً، كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بِنَافَعَتِهِ، كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارته. عن ابن إسحاق: يعنى المنافقون بذلك جل ثناؤه يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيباً في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم فسارعوا فيه (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يعنى بذلك جل

ثناؤه: يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم، فسارعوا فيه. ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة، لهم عذاب عظيم في الآخرة، وذلك عذاب النار. فأحبط أعمالهم..

- قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران] اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله ﷺ إذا غزا العدو، فإذا انصرف رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا. عن الضحاك قال: كانت اليهود [قد] كتب بعضهم إلى بعض أن محمدا ليس بنبي، فأجمعوا كلمتهم وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذى معكم ففعلوا وفرحوا بذلك باجتماعهم على الكفر بمحمد ﷺ. وقال السدى: كتموا اسم محمد ﷺ، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه، وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون: نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة، ونحن على دين إبراهيم عليه السلام. فأنزل الله فيهم: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) من كتمان محمد ﷺ (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا) أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك. (فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعده لأعدائه فى الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل، وما أشبه ذلك من عقاب الله، ولا هم ببعيد منه. وقال أبو جعفر: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة أيضا مؤلم، مع الذى لهم فى الدنيا معجل. وقال ابن زيد: هؤلاء المنافقون يقولون للنبي ﷺ لو خرجت لخرجنا معك، فإذا خرج النبي ﷺ تخلفوا وكذبوا ويفرحون بذلك ويرون أنها حيلة احتالوا بها..

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحَسَابِ ﴿١٩٩﴾ [آل عمران] اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم: عنى بها أصحمة النجاشي وفيه أنزلت. عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: اخرجوا فصلوا على أخ لكم، فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال: هذا النجاشي أصحمة، فقال المنافقون: انظروا هذا يصلى على علق نصراني لم يره قط. فأنزل الله (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) وعن قتادة أن النبي ﷺ قال: إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه، قالوا: نصلى على رجل ليس بمسلم؟!

قال: فنزلت (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ) قال قتادة فقالوا: فإنه كان لا يصلى إلى القبلة. ؟ فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ...﴾ ﴿١١﴾ [البقرة] .

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء] من يعص الله ورسوله فى العمل بما أمراه به، من قسمة الموارث على ما أمره بقسمة ذلك بينهم، وغير ذلك من فرائض الله، مخالفًا أمرهما إلى ما نهاه عنه (وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ) ويتجاوز فصول طاعته، التى جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته، إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثته، وغير ذلك من حدوده. عن ابن عباس: كان بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ من المنافقين الذين فيهم نزلت وفى أشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود فى النار، لأنه باستنكاره حكم الله يصير بالله كافرا ومن ملة الإسلام خارجا. (نَارًا خَالِدًا فِيهَا) باقيا فيها أبدا لا يموت ولا يخرج منها أبدا. (وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) عذاب مذل من عذب به مخز له. عن سعيد بن جبیر: يعنى: ومن يكفر بقسمة الموارث وهم المنافقون كانوا لا يعدون بأن للنساء والصبيان الصغار من الميراث نصيبا .

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ

ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ
أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ
لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء].

تفاخرت النضير وقريظة فقالت النضير: نحن أكرم منكم. وقالت قريظة:
نحن أكرم منكم. ودخلوا المدينة إلى أبي برزة الكاهن الأسلمي، فقال المنافق من
قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي برزة ينفر بيننا، وقال المسلمون من قريظة
والنضير: لا بل النبي ﷺ ينفر بيننا فتعالوا إليه، فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي
برزة فسألوه فقال: أعظموا اللقمة يقول: أعظموا الخطر، فقالوا: لك عشرة
أوساق، قال: لا بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف أن أنفر النضير تقتلني قريظة أو
أنفر قريظة فتقتلني النضير، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوساق وأبى أن يحكم
بينهم. ! فأنزل الله عز وجل: (يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) وهو أبو برزة
(وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ) إلى قوله: (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). وقال آخرون: الطاغوت في
هذا الموضع هو كعب بن الأشرف، فعن ابن عباس قوله: (يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ) الطاغوت رجل من اليهود كان يقال له: كعب بن
الأشرف، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا: بل
نحاكمكم إلى كعب. فذلك قوله يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت. قوله:
(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)
يعنى أولئك المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم، علم الله ما في قلوبهم
في احتكامهم إلى الطاغوت وتركهم الاحتكام إليك وصدودهم عنك من النفاق

والزيغ، وإن حلفوا بالله ما أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ) فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم ولكن عظمهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) ومرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعدته ووعيدته . .

- قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء] عن السدى قال: هؤلاء المنافقون الذين يقولون: إذا حضروا النبي ﷺ فأمرهم بأمر قالوا: طاعة، فإذا خرجوا من عنده غيرت طائفة منهم ما يقول وما أمرهم به وغيروه إلى ما نهاهم عنه، فخلهم وما هم عليه من الضلالة وارض لهم بى منتقما منهم، وتوكل أنت يا محمد على الله. أى وحسبك بالله وكيلا: أى فيما يأمرك ووليا لك، ودافعا عنك وناصر (وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ) يقول: ما يقولون . .

15 - قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ... ﴾ [النساء] عن زيد بن ثابت قال: كان المنافقون وأصحاب النبي ﷺ في بيت، فقالت طائفة: وددنا أنهم برزوا لنا فقاتلناهم، وكرهت طائفة ذلك حتى علت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ فقال لزيد: اكتبها (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) . .

16 - قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ ١٠٥ ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ١٠٦ ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴾ ١٠٧ ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ ١٠٨ ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴾ ١٠٩ ﴿ [النساء] قال قتادة: بما أنزل الله عليك وبين لك. وذكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في شأن

طعمة بن أبيرق، وفيما هم به نبى الله من عذره وبين الله شأن طعمة بن أبيرق ووعظ نبيه وحذره أن يكون للخائنين خصيما وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، سرق درعا لعمه كانت وديعة عنده ثم قذفها على زيد بن السمين وكان يغشاهم، فجاء اليهودى إلى نبى الله يهتف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر، جاءوا إلى نبى الله ليعذروا صاحبهم وكان نبى الله ﷺ قد هم بعذره حتى أنزل الله فى شأنه ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴿١٠٩﴾) يعنى بذلك قومه: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ﴿١١٢﴾ [النساء].

وكان طعمة قذف بها بريئا، فلما بين الله شأن طعمة، نافق ولحق بالمشركين بمكة! فأنزل الله فى شأنه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [النساء] ومن يباين الرسول محمدا ﷺ معاديا له، فيفارقه على العداوة له، (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ) من بعد ما تبين له أنه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدى إلى الحق، وإلى طريق مستقيم. (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى: ويتبع طريقا غير طريق أهل التصديق ويسلك منهاجا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ) نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، وهى لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئا ولا تنفعه. (وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ) ونجعل له صلاء نار جهنم يعنى نحرقه بها. (وَسَاءَتْ مَصِيرًا) وساءت جهنم مصيرا وموضعا يصير إليه من صار إليه. .

17 - قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء] عن مقاتل قال: إن الله جامع المنافقين من أهل المدينة والمشركين من أهل مكة الذين خاضوا واستهزؤوا بالقرآن، في جهنم جميعا. .

- قوله تعالى: ﴿... وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [النساء] عن قتادة قال: هم المنافقون. .

18 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى...﴾ [النساء] وذلك أنهم كانوا في الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان بألسنتهم، واعتقدوا الكفر بقلوبهم، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى) قال ابن زيد: هم المنافقون لولا الرياء ما صلوا. وقيل: هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه، فخانوا، أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، فتأويل الكلام إذن يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمركم به ونهياكم عنه لا تنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم، وواجب أعمالكم ولازمها لكم، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم. فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا في نورهم، قالوا للمؤمنين: ﴿... انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا...﴾ [الحديد]. فيظنون أن وراءهم نورا يلتمسون، فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سرداب فيظنون أن في السرداب نورا يجوزهم على الصراط، فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم، فإذا رأى المؤمنون المنافقين قد تساقطوا وتهافتوا في النار فزعوا مما حل بالمنافقين فعند ذلك يقال لهم: ﴿... بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [الحديد] هذا العذاب الذي فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله

ورسوله وجحدوا بآيات الله فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب [وهو] الحاجز بين الجنة والنار .

قال تعالى: ﴿... فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] يعنى جهنم والباطن فيه الرحمة، يعنى الجنة، فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا عليهم ولم يلتفتوا إليهم، ورأوهم فى حال السلامة والفوز فيقول لهم المنافقون: ﴿... أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾ [الحديد: ١٤] (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى الدنيا على التوحيد وكنا نصلى معكم.؟ فيقول لهم المؤمنون: (بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى عذبتهم وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله ﷺ وقولكم بألستكم ما ليس فى قلوبكم، وتكذبيكم بقاء الله تبارك وتعالى، وكذبتكم بهذا اليوم وتربصتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر، وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥] (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء. قال أهل التأويل: يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول المؤمنين لأهل النفاق بعد أن ميز بينهم فى القيامة فاليوم أيها المنافقون لا يؤخذ منكم فدية يعنى عوضا وبدلا، من عقابكم وعذابكم فيخلصكم من عذاب الله، ولا تؤخذ الفدية أيضا من الذين كفروا.

صفة [الكافر و] المنافق: فالكافر هو الذى كفر فى السر والإعلان. والمنافق الذى كفر فى السر وآمن فى الإعلان، وآمن بلسانه وكفر بقلبه، وقوله: (مَأْوَاكُمُ النَّارُ) أى مرجعكم إليها ومستقركم فيها، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت و متم على النفاق، فإذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور رأوا سردابا فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيه، فيهجم بهم على أبواب جهنم فتحطفهم الملائكة بالكاليل، فتقذفهم فى جهنم حتى يجاوزوا الباب الأول من جهنم، ثم

يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزوه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار، فينتهي بهم إلى جب يقال له: جب الحزن، في ذلك الجب بئر يقال لها: الهبهب، فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار، على تلك البئر صخرة من كبريت، إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها!! فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر، نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين، فيؤتى بالمنافقين فيلقون في تلك البئر، وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبدا، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوما غيرها فلا يخرجون من تلك البئر أبدا، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء].

19 - قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ١٤٦﴾ [النساء] (مُذَبِّذِينَ) مترددين، وأصل التذبذب: التحرك والاضطراب وإنما عني بذلك: أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة ولكنهم حيارى بين ذلك، فمثلهم مثل الذي ضرب لهم رسول الله ﷺ قال: مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لا تدرى أيتهما تتبع.

قال قتادة: إن نبي الله ﷺ كان يضرب مثلا للمؤمن والمنافق والكافر، كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر، فوقع المؤمن ففقط، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن، ناداه الكافر: أن هلم إلى فإنى أخشى عليك! وناداه المؤمن: أن هلم إلى فإن عندى وعندى! يحصى له ما عنده. فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرقه، وإن المنافق لم يزل فى شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك. (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) فإنه يعنى: من يخذله الله عن طريق الرشاد وذلك هو الإسلام الذى دعا الله إليه عباده، يقول: من يخذله الله عنه فلم

يوفقه له، فلن تجد له يا محمد سبيلا يعنى طريقا يسلكه إلى الحق غيره وأى سبيل يكون له إلى الحق غير الإسلام؟ وقد أخبر الله جل ثناؤه: أنه من يتبع غيره دينا فلن يقبل منه ومن أضله الله عنه فقد غوى، فلا هادى له غيره..

20 - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء] هذا نهى من الله لعباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم فى ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله، لا توالوا الكفار فتؤازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين، فتكونوا كمن أوجب له النار من المنافقين.

ثم قال جل ثناؤه متوعدا من اتخذ منهم (الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) إن لم يرتدع عن موالاته وينزجر أن يلحقه بأهل ولايتهم من المنافقين الذين أمر نبيه ﷺ بتبشيرهم بأن لهم عذابا أليما. أتريدون أيها المتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) حجة باتخاذكم الكافرين أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا منه ما استوجبه أهل النفاق وأخبركم بحلهم عنده. ويقول: لا تعرضوا أنفسكم لغضب الله بإيجابكم الحجة على أنفسكم فى تقدمكم على ما نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهل الكفر. وعن عكرمة قال: ما كان فى القرآن من سلطان فهو حجة..

- قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء] يقول تعالى ذكره ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا فى أنفسهم وأموالهم من دون الله، وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء ذلك..

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ

يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ [المائدة] اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر بقوله لبنى قريظة حين حاصرهم النبي ﷺ: إنما هو الذبح، فلا تنزلوا على حكم سعد. عن عامر قال: كان رجل من اليهود قتله رجل من أهل دينه فقال القاتل لحلفائهم من المسلمين: سلوا في محمدًا ﷺ فإن كان يقضى بالدية اختصمنا إليه، وإن كان يأمرنا بالقتل لم نأته!

وعن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة حدثهم، أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس حين قدم رسول الله ﷺ، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت. فقالوا: انطلقوا بهذا الرجل وبهذه المرأة إلى محمد ﷺ فاسألوه كيف الحكم فيهما فولوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التحميم وهو الجلد بحبل من ليف مطلى بقر ثم يسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتحول وجوههما من قبل دبر الحمار، فاتبعوه فإنما هو ملك. وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه. فأتوه فقالوا: يا محمد هذا الرجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما فقد وليناك الحكم فيهما! فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال: يا معشر اليهود أخرجوا إلى أعلمكم. فأخرجوا إليه عبدالله بن سوريا الأعور.

وقد روى بعض بنى قريظة: أنهم أخرجوا إليه يومئذ مع ابن سوريا أبا ياسر ابن أخطب ووهب بن يهودا، فقالوا: هؤلاء علماؤنا. فسألهم رسول الله ﷺ حتى حصل أمرهم، إلى أن قالوا لابن سوريا: هذا أعلم من بقى بالتوراة فخلا به

رسول الله ﷺ، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فألظ به رسول الله ﷺ (1) المسألة يقول: يا ابن صوريا أنشدك الله وأذكرك أياديه عند بنى إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصائه بالرجم فى التوراة؟ فقال: اللهم نعم. أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعلمون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك. فخرج رسول الله ﷺ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى عثمان بن غالب بن النجار. ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، فأنزله الله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ). وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال: عنى بذلك: قوم من المنافقين. وجائز أن يكون ممن دخل فى هذه الآية ابن صوريا، وجائز أن يكون أبو لبابة وجائز أن يكون غيرهما. (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا). وهذا تسلية من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ من حزنه على مسارعة الذين قص قصصهم من اليهود والمنافقين فى هذه الآية، يقول له تعالى ذكره: لا يحزنك تسرعهم إلى جحود نبوتك، فإنى قد حتمت عليهم أنهم لا يتوبون من ضلالتهم، ولا يرجعون عن كفرهم للسابق من غضبى عليهم، وغير نافعهم حزنك على ما ترى من تسرعهم إلى ما جعلته سبيلا لهلاكهم واستحقاقهم وعيدى. ومعنى الفتنة فى هذا الموضع: الضلالة عن قصد السبيل. يقول تعالى ذكره: ومن يرد الله يا محمد مرجعه بضلالاته عن سبيل الهدى، فلن تملك له من الله استنقاذا مما أراد الله به من الحيرة والضلالة، فلا تشعر نفسك بالحزن على ما فاتك من اهتدائه للحق. (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هؤلاء الذين لم يرد الله أن يطهر من دنس الكفر ووسخ الشرك قلوبهم بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان فيتوبوا، بل أراد بهم الخزي فى الدنيا وذلك الذل والهوان، وفى الآخرة عذاب جهنم خالدين فيها أبدا. .

(1) أَلْظَّ عَلَيْهِ: أَقَامَ بِهِ وَأَلَحَّ.

- قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة] وقيل: عنى بذلك المنافقون. فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عم بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله. فكيف جعلته خاصا؟ قيل: إن الله تعالى عمم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذى حكم به فى كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون. وكذلك القول فى كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس؛ لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله فى كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي . .

- قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة] فإنه يعنى هؤلاء المنافقين الذين يوالون اليهود والنصارى. يقول تعالى ذكره: لعل الله أن يأتى بأمر من عنده يدل به المؤمنين على الكافرين اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر، فيصبح هؤلاء المنافقون على ما أسروا فى أنفسهم من مخالاة اليهود والنصارى ومودتهم وبغض المؤمنين ومحاداتهم نادمين، قال قتادة: فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم، نادمين من موادتهم اليهود ومن غشهم للإسلام وأهله . .

21 - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام] عن ابن عباس: يعنى المنافقين المشركين وإنما سماهم الله منافقين لأنهم كتموا الشرك وأظهروا الإيمان، فقالوا: وهم فى النار هلموا فلنكذب ها هنا فلعله أن ينفعنا كما نفعنا فى الدنيا، فإننا كذبنا فى الدنيا فنفعنا حقنا دماءنا وأموالنا، فقالوا: (وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ). فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك فى الدنيا. يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويعنى بقوله: (مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) ما كنا ندعو لك شريكا ولا ندعو سواك.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرُوا لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام] ومن اتقى الله فخافه فأطاعه فيما أمره به، واجتنب ما نهاه عنه فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين فى آيات الله فى حال خوضهم فى آيات الله شىء من تبعة فيما بينه وبين الله، إذا لم يكن تركه الإعراض عنهم رضا بما هم فيه وكان لله بحقوقه متقيا، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج، ولكن ليعرضوا عنهم حيثئذ. (ذِكْرَى) لأمر الله. (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول: ليتقوا. وقد ذكر أن النبى ﷺ إنما أمر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا فى آيات الله، لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه، فقال الله له: إذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ويتركوا ذلك. عن ابن جريج قال: كان المشركون يجلسون إلى النبى ﷺ يحبون أن يسمعوا منه، فإذا سمعوا استهزئوا، فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾ [الأنعام] قال: فجعل إذا استهزئوا قام فحذروا وقالوا: لا تستهزئوا فيقوم. فذلك قوله: (لعلهم يتقون) مساءتكم إذا رأوكم لا تجالسوهم، استحيوا منكم فكفوا عنكم. ونزل: (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) إن قعدوا معهم، ولكن لا تقعدوا. ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء] فنسخ قوله: (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) ..

22 - قوله تعالى: ﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [٢٩] فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ... [٣٠] [الأعراف]، اختلف أهل التأويل فى تأويل (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) فقال بعضهم: تأويله كما بدأكم أشقياء وسعداء كذلك تبعثون يوم القيامة، قال ابن عباس: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا...﴾ [التغابن] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم، مؤمنا

وكافرا. وأخرج ابن جرير عن جابر في الآية قال: يبعثون على ما كانوا عليه المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه..

23 - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال] قال ابن عباس: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) فأدوا فرائضه (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) أى تصديقا (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول: لا يرجون غيره..

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال] شر ما دب على الأرض من خلق الله عند الله، الذين لا يصغون للحق ولا يستمعونه فيعتبروا ويتعظوا به وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيهِ فيستعملوا بهما أبدانهم. قال ابن زيد: ليس بالأصم فى الدنيا ولا بالأبكم ولكن صم القلوب وبكمها وعميها. وقرأ: ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج] وعن مجاهد قال: لا يتبعون الحق. وقال ابن عباس: هم نفر من بنى عبد الدار، وقال آخرون: عنى بها المنافقون..

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال] يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (لَا تَخُونُوا اللَّهَ) وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان فى الظاهر، و النصيحة وهو يستسر الكفر والغش لهم فى الباطن يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم. عن جابر بن عبد الله: أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبى ﷺ فقال: إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا. فقال النبى ﷺ

لأصحابه: إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا. قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبى سفيان: إن محمدا يريدكم فخذوا حذرکم فانزل الله عز وجل: (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ).

وقال الزهري: نزلت فى أبى لبابة بعثه رسول الله فأشار إلى حلقه أنه الذبح. قال الزهري: فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على. فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا، حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، ف قيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك. قال: والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب، وأن أنخلع من مالى، قال ﷺ: يجزيك الثلث أن تصدق به. وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيائنه وخيانة رسوله وخيانة أمانته..

- قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ...﴾ [الأنفال] قال مجاهد: قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاصى ابن منبه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: (غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم..

- قال تعالى: ﴿...وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾ [الأنفال] اختلف أهل التأويل فى هؤلاء الآخرين من هم وما هم، فقال بعضهم: هم بنو قريظة، وقال آخرون فارس. وقال آخرون: هم كل عدو للمسلمين غير الذى أمر النبى ﷺ أن يشردهم من خلفهم. قالوا: وهم المنافقون. قال ابن زيد: هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ويغزون معكم. قال أبو جعفر: الصواب أن يقال إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما

يتقون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي ورباط الخيل . ولا وجه لأن يقال : عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة ، وقد عم الله الأمر بها .

24 - قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَنْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ (٤٤) [التوبة] أى فى القعود ولا فى الخروج ، بل إذا أمرت بشىء ابتدروه ، فكان الاستئذان فى ذلك الوقت من علامات النفاق لغير عذر . ولذلك قال : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَنْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ (٤٥) [التوبة] .

25 - قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤٩) [التوبة] قال ابن زيد : هو رجل من المنافقين يقال له : جد بن قيس ، فقال له رسول الله ﷺ العام نغزو بنى الأصفر ونتخذ منهم سراى ووصفانا ، فقال : أى رسول الله (ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) إن لم تأذن لى افتتنت ووقعت ، فغضب ، فقال الله : (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) وكان من بنى سلمة ، فقال لهم النبى ﷺ : من سيدكم يا بنى سلمة ؟ فقالوا : جد بن قيس غير أنه بخيل جبان ! فقال النبى ﷺ : وأى داء أدوى من البخل ؟ ولكن سيدكم الفتى الأبيض الجعد الشعر البراء بن معرور .

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٥٣) [التوبة] يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره ، وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكره فإنكم إن تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم ، وأنتم فى شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه .

وخرج قوله : (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ) مخرج الأمر ومعناه الخبر وقيل : إن الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى ﷺ لما عرض عليه الخروج معه لغزو الروم : هذا مالى أعينك به . قال ابن عباس : قال الجد بن قيس : إني إذا

رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالى! قال: ففيه نزلت لقوله: أعينك بمالى (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) خارجين عن الإيمان بربكم..

- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة] يقول تعالى ذكره: ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم فى هذه الآيات (وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) يقول: يعيبك فى أمرها ويطعن عليك فيها، يقال منه: لمر فلانا يلمزه، ويلمزه: إذا عابه وقرصه، (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا) يقول: ليس بهم فى عيهم إياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك.

عن قتادة: وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية، أتى نبي الله ﷺ وهو يقسم ذهباً وفضة، فقال: يا محمد، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت! فقال نبي الله ﷺ: ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى؟! ثم قال نبي الله ﷺ: احذروا هذا وأشباهه، فإن فى أمتى أشباه هذا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإذا خرجوا فاقتلوههم، ثم إذا خرجوا فاقتلوههم، ثم إذا خرجوا فاقتلوههم. وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه إنما أنا خازن. وعن أبى سعيد قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً، إذ جاء ابن ذى الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: ويلك ومن يعدل إن لم أعدل.؟ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فأضرب عنقه؟ قال: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحداكم صلواته مع صلواتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فينظر فى قذذه⁽¹⁾ فلا ينظر شيئاً،

(1) القُدَذ: ريش السهم، وأحدثها: قُدَّة.

ثم ينظر في نصله فلا يجد شيئاً، ثم ينظر في رصافه⁽¹⁾ فلا يجد شيئاً، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة - تدردر - يخرجون على حين فترة من الناس. قال: فنزلت: (وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ). وقال ابن زيد: هؤلاء المنافقون، قالوا: والله ما يعطيها محمد إلا من أحب، ولا يؤثر بها إلا هواه! فأخبر الله نبيه، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله، وأن هذا أمر من الله ليس من محمد..

26 - قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة] عن السدى قال: اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد ابن صامت ومخشى بن حمير ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ فنهى بعضهم بعضاً وقالوا: إنا نخاف أن يبلغ محمداً فيقع بكم. فقال بعضهم: إنما محمد أذن، نحلف له فيصدقنا. وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير فسمعها الغلام فغضب وقال: والله إن محمداً لصادق وإنكم لشر من الحمير. ثم ذهب فبلغها النبي ﷺ فدعاهم فحلفوا بالله أن عامراً لكاذب، وحلف عامر إنهم لكذبة فصدقهم النبي ﷺ فقال عامر: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب. وقد كان مخشى بن حمير قال في ذلك المجلس: ويحكم يا معشر المنافقين والله إنى لأرى أنا شر خلق الله وخليقته، والله لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا. فعند ذلك قالوا: والله إن كان محمد صادقاً، وقالوا: هو أذن قل أذن خير لكم..

(1) رصافه ثم في قذذه فلا يرى شيئاً؛ والرصفة: واحدة الرصاف وهي العقبة التي تلوى فوق رُعْطِ السهم إذا انكسر، وجمعه رُصُفٌ.

27 - قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤] يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل [على المؤمنين] فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، وتظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئا من أمره وأمر المسلمين قالوا: لعل الله لا يفشى سرنا. فقال الله لنبيه ﷺ قل لهم: استهزئوا، متهددا لهم متوعدا، (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ) مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم، فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة؛ فاضحة المنافقين.

28 - قال تعالى: ﴿... إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ ...﴾ [التوبة: ٦٦] كان رهط من المنافقين منهم مخشن بن حمير مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال: أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم، والله لكأنا غدا مقرنون في الحبال! فأطلع الله تعالى نبيه عليهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون، وقال مخشن بن حمير: يا رسول الله قعد بى اسمى واسم أبى، فعفا الله عنه بقوله: (إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ) قال: وهى الطائفة التى عفا عنها، فسمى عبد الرحمن بن حمير، قال: وسأل الله تعالى أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فأصيب يوم اليمامة ولم يوجد له أثر..

29 - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وينهون عن الإيمان به وبرسوله (نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول: خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا؟.

ثم بين جل ثناؤه من أولئك الأمم التي قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتيهم نبؤهم، فقال: (قَوْمُ نُوحٍ) ومعنى الكلام: ألم يأت هؤلاء المنافقين، خبر قوم نوح وصنيعي بهم إذ كذبوا رسولي نوحا وخالفوا أمرى، ألم أغرقهم بالطوفان؟ (وَعَادٌ) يقول: وخبر عاد إذ عصوا رسولى هودا، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية؟ وخبر (ثَمُودَ) إذ عصوا رسولى صالحا، ألم أهلكهم بالرجفة، فأتركهم بأفنيتهم خمودا؟ وخبر (قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ) إذ عصوه، وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق، ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود؟ وخبر (أَصْحَابِ مَدْيَنَ)، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة، إذ كذبوا رسولى شعيبا؟ (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها. فصار أعلاها أسفلها، إذ عصوا رسولى لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق. يقول تعالى ذكره: أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله، أن يسلك بهم فى الانتقام منهم وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا سبيل أسلافهم من الأمم، ويحل بهم بتكذيبهم رسولى محمدا ﷺ ما حل بهم فى تكذيبهم رسلنا، إذ أتتهم بالبينات. (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية رسلهم من الله بالبينات. (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) يقول جل ثناؤه: فما أهلك الله هذه الأمم التى ذكر أنه أهلكها، إلا بإجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبة فى غير من هو لها أهل. لأن الله حكيم، لا خلل فى تدييره ولا خطأ فى تقديره، ولكن القوم الذين أهلكهم ولكن (كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم فحق عليهم كلمة العذاب فعذبوا..

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوْهُمْ جِهَتُهُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة] يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: يا أيها النبى جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بالوعيد واللسان. عن قتادة قال: أمر الله نبى

ﷺ أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود (وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ) يقول: واشدد عليهم في ذات الله (وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمَ) يقول: ومصيرهم الذى يصيرون إليه نار جهنم (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) وبئس الموضع الذى يصيرون إليه جهنم . .

- قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة] عن هشام بن عروة عن أبيه قال: [نزلت] فى الجلاس بن سويد بن الصامت، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء، فقال الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من حميرنا هذه التى نحن عليها! فقال مصعب: أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت. فأتيت النبى ﷺ وخشيت أن ينزل فى القرآن أو تصيبنى قارعة أو أن أخلط، قلت: يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا، ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئة أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك. قال: فدعا الجلاس فقال له: يا جلاس أقلت الذى قال مصعب؟ قال: فحلف، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية. وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الجلاس: قد استثنى الله لى التوبة فأنا أتوب فقبل منه رسول الله ﷺ . .

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة] عن ابن عباس قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، يقول الله تبارك وتعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) فى النار. قال ابن زيد: فى قوله: (فَلْيَضْحَكُوا) فى الدنيا قليلا (وَلْيَبْكُوا) يوم القيامة كثيرا. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين] قوله: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا

مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) يقول تعالى ذكره: إن الذين اكتسبوا المآثم فكفروا بالله فى الدنيا، كانوا فيها من الذين أقروا بوحداية الله وصدقوا به، يضحكون استهزاء منهم بهم. (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) و كان هؤلاء الذين أجرموا إذا مر الذين آمنوا بهم يتغامزون ويغمز [بعضهم] بعضا بالمؤمن استهزاء به وسخرية (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) يقول: وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجبين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون عن محجة الحق وسبيل القصد (وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ) وما بعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين إن هؤلاء لضالون، حافظين عليهم أعمالهم. يقول: إنما كلفوا الإيمان بالله والعمل بطاعته، ولم يجعلوا رقباء على غيرهم يحفظون عليهم أعمالهم ويتفقدونها.

(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فى الدنيا (مِنَ الْكُفَّارِ) فيها (يَضْحَكُونَ). عن ابن عباس: إن السور الذى بين الجنة والنار يفتح لهم فيه أبواب، فينظر المؤمنون إلى أهل النار والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذبون، فيضحكون منهم، فيكون ذلك مما أقر الله به أعينهم كيف ينتقم الله منهم. وكان كعب يقول: إن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا، اطلع من بعض الكوى، قال الله جل ثناؤه: ﴿فَاطْلَعْ فَارَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات] أى فى وسط النار. وذكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلى. قال: فيجاء بالكفار حتى ينظروا إلى أهل الجنة فى الجنة، على سرر فحين ينظرون إليهم تغلق دونهم الأبواب، ويضحك أهل الجنة منهم، فهو قوله: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ).

(هَلْ ثَوَابَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: هل أثيب الكفار وجزوا ثواب ما كانوا فى الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم وضحكهم بهم،

بضحك المؤمنين منهم فى الآخرة، والمؤمنون على الأرائك ينظرون، وهم فى النار يعذبون. و(تُوب) فعل من التوب والجزاء..

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٩٣] يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿٩٤﴾ [التوبة] يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله ﷺ التاركون جهاد المشركين معكم، من المنافقين بالأباطيل والكذب، إذا رجعت إليهم من سفرهم وجهادكم قل لهم يا محمد: لا تعتذروا لن نؤمن لكم. يقول: لن نصدقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من أخباركم) يقول: قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم (وسيرى الله عملكم ورسوله) يقول: وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) يقول: ثم ترجعون بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم السر والعلانية لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها، فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن والسيئ منها بالسيئ..

30 - قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة] يقول تعالى ذكره: سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، (إذا انقلبتم إليهم) يعنى: إذا انصرفتم إليهم من غزوكم (لتعريضوا عنهم) فلا تؤنبوهم. (فأعرضوا عنهم) يقول جل ثناؤه للمؤمنين: فدعوا تأنيبهم، واخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق. (إنهم رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ) يقول: إنهم نجس، ومصيرهم إلى جهنم وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة.

(جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول: ثوابا بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من معاصي الله. وذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين من المنافقين. عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قيل له: ألا تغزو بنى الأصفر لعلك أن تصيب بنات عظيم الروم فإنهن حسان. فقال رجلان: قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة فلا تفتننا بهن، فأذن لنا. فأذن لهما، فلما انطلقا قال أحدهما: إن هو إلا شحمة لأول آكل. فسار رسول الله ﷺ، ولم ينزل عليه في ذلك شيء فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ...﴾ ﴿٤٢﴾ [التوبة] ونزل عليه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ...﴾ ﴿٤٣﴾ [التوبة] ونزل عليه: ﴿لَا يَسْتَنْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ ﴿٤٤﴾ [التوبة] ونزل عليه: ﴿...إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [التوبة]. فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي ﷺ فأتاهم وهم خلفهم، فقال: تعلمون أن قد أنزل على رسول الله ﷺ بعدكم قرآنا؟ قالوا: ما الذي سمعت؟ قال: ما أدرى غير أنى سمعت أنه يقول: إنهم رجس، فقال رجل يدعى مخشيا: والله لوددت أنى أجلد مئة جلدة وأنى لست معكم. فأتى رسول الله ﷺ فقال: ما جاء بك؟ فقال: وجه رسول الله ﷺ تسفعه الريح وأنا في الكن، فأنزل الله عليه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَوْدَيْنَا وَلَمْ نَنْزِلْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ نَبَأٍ...﴾ ﴿٤٦﴾ [التوبة] وقالوا لا تنفروا في الحر... ﴿٤٧﴾ [التوبة] ونزل عليه في الرجل الذي قال: لوددت أنى أجلد مئة جلدة، قول الله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ ﴿٤٨﴾ [التوبة] فقال رجل مع رسول الله: لئن كان هؤلاء كما يقولون ما فينا خير. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال له: أنت صاحب الكلمة التي سمعت؟ فقال: لا والذي أنزل عليك الكتاب! فأنزل الله فيه: ﴿...وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ...﴾ ﴿٤٩﴾ [التوبة] وأنزل فيه: ﴿...وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الْظَالِمِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ [التوبة].

31 - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨] يقول تعالى ذكره: ومن الأعراب من يعد نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أو في معونة مسلم أو في بعض ما ندب الله إليه عباده (مَغْرَمًا) يعنى غرما لزمه، لا يرجو له ثوبا ولا يدفع به عن نفسه عقابا. (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) يقول: ويتنظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالي إلى مكروه ونفى محبوب، وغلبة عدو لكم. يقول الله تعالى ذكره: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) يقول: جعل الله دائرة السوء عليهم، ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون، ولا بكم، والله سميع لدعاء الداعين عليهم بتدبيرهم وما هو بهم نازل من عقاب الله وما هم إليه صائرون من أليم عقابه. قال ابن زيد: هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا، أو يحاربوا أو يقاتلوا، ويرون نفقتهم مغرما. .

32 - قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] (مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ) أى مرنوا عليه. لا يعلمهم إلا نحن ولا يطلع على أسرارهم غيرنا، لإبطانهم الكفر في سويدات قلوبهم. (سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ). قال قتادة: عذاب في القبر قبل العذاب في النار. وعذاب في النار.

33 - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] عن عاصم بن عمر بن قتادة وغيره قالوا: أقبل رسول الله ﷺ يعنى من تبوك حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه.

فقال: إني على جناح سفر وحال شغل، ولو قد قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه. فلما نزل بنى أوان أتاها خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك ابن الدخشم ومعن بن عدى أو عاصم بن عدى فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه. فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرنى حتى أخرج إليك بنار. فدخل فأخذ سعفا من النخل، فأشعل فيه نارا، ثم خرجا يشندان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وترفقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا: خذام بن خالد من بنى عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد، وهو إلى بنى أمية بن زيد، ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة ابن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف، وجارية بن عامر وابناه: مجمع بن جارية، وزيد بن جارية، ونبتل بن الحرث وهم من بنى ضبيعة، وبحرزج وهو إلى بنى ضبيعة، وبجاد بن عثمان وهو من بنى ضبيعة، ووديعه بن ثابت وهو إلى بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر.

فتأويل الكلام: والذين ابتنوا مسجدا ضارا لمسجد رسول الله ﷺ وكفرا بالله لمحادثهم بذلك رسول الله ﷺ ويفرقون به المؤمنين ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله ﷺ، وبعضهم فى مسجد رسول الله ﷺ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا (وإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يقول: وإعدادا له، لأبى عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله، وكفر بهما وقاتل رسول الله. (من قَبْلُ) يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد. وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزب الأحزاب، لقتال رسول الله ﷺ، فلما خذله الله، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلى فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم. ففعلوا ذلك.

وهذا معنى قول الله جل ثناؤه: (وَارْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) يقول جل ثناؤه: وليحلفن بانوه إن أردنا إلا الحسنى بنائنا إياه والرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعدة ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله ﷺ للصلاة فيه . وتلك هي الفعلة الحسنة . (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في حلفهم ذلك ، وقيلهم ما بنيناها إلا ونحن نريد الحسنى ولكنهم بنوه يريدون بنائنا الضرار بمسجد رسول الله ﷺ وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لأبي عامر الفاسق . قال مجاهد: [هم] المنافقون لمن حارب الله ورسوله [المؤيدون] لأبي عامر الراهب . .

34 - قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة] عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب الأنصاري قال: سمعت أبا بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال: ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غيرها قط . غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ولم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر أذكر في الناس منها .

كان من حديثي حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة يغزوها إلا وري بغيرها⁽¹⁾ حتى كانت تلك الغزوة فغزاها في

(1) ورى بغيره: أى ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره .

حر شديد واستقبل عدوا كثيرا، فحكى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد، [وعدد] المسلمين ممن تبع رسول الله ﷺ كبير، لا يجمعهم كتاب حافظ يعنى بذلك كعب الديوان يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب قال كعب: فقل رجل يريد أن يغيب إلا ظن أنه مستخفيا له ذلك، ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وراحت الظلال فتجهز رسول الله ﷺ وتجهز المسلمون معه، وجعلت أعدو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة، وأقول فى نفسى إني قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس للغد فأصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم أزل كذلك حتى أسرعوا فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزننى أن لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق، أو رجلا ممن عذر أنه فى الضعفاء، ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكا، قال وهو جالس فى القوم: أتدرون ما فعل كعب بن مالك؟.

فقال رجل من بنى سلمة: نعم حبسه برداه والنظر فى عطفه، فقال معاذ بن جبل: تدرى ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك، حضرني شر فجعلت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخط رسول الله ﷺ غدا وأستعين على ذلك بكل من أرى من أهلى، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا، زاح عني الباطل وعرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدقته فصبح رسول الله ﷺ المدينة، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وإيمانهم، فاستغفر لهم وجعل سرائرهم إلى الله عز وجل، حتى جئت فسلمت عليه، فلما

سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال. فجئت أمشى حتى جلست بين يديه، فقال لى: ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرا؟ قلت: يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطته، فلقد أعطيت جدلا، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم كذبا لترضى عني ليوشكن الله أن يسخطك على، ولئن حدثتك حديثا صادقا تجد على فيه إنى لأرجو عفو الله فيه، والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدقكم، قم حتى يحكم الله فيك أمره، فقمتم وقام معى رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا: والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المنافقون، قد كان كافيك منه استغفار رسول الله ﷺ فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسى، ثم قلت لهم: هل لقى هذا أحد غيرى؟ فقالوا: نعم رجلان قالا مثل مقالك، وقيل لهما: مثل ما قيل لك. قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفى، فذكروا رجلين صالحين فيهما أسوة، فصمتُ حين ذكروهما لى.

ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لى نفسى والأرض فما هى بالأرض التى كنت أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. أما صاحبائى فاستكنا وقعدا فى بيوتهما وأما أنا فكنت أشد الرهط وأجلدهم، وكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق فلا يكلمنى أحد. وإنى أتى رسول الله ﷺ وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأسلم عليه، وأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على الصلاة نظر إلى، فإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال على ذلك من جفوة المسلمين، مشيت

حتى تسورت جدار أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فناشدته، فسكت. فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناى، ورحت فتسورت الجدار ثم غدوت إلى السوق، فبينما أنا أمشى فى السوق، فإذا بنبطى من نبط الشام يسأل عني، ممن قدم بيع الطعام بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فجعل الناس يشيرون إلى حتى جاءني فدفع إلى كتابا من ملك غسان فى سرقة من حرير، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية، فالحق بنا نواسيك!

فقلت حين قرأتها: هذا أيضا من البلاء قد بلغ ما قد وقعت فيه، أن طمع فى رجل من أهل الشرك، فعمدت بها إلى تنور فسجرت به. فأقمنا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قلت: أطلاقا أم ماذا؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك. فقلت لامرأتى: الحقى بأهلك وكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفنكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربك، فقالت: يا رسول الله ما به من حركة إلى والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوفت على بصره. قال: فقال لى بعض أهلى: لو استأذنت رسول الله ﷺ لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قلت: لا والله لا أستأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله ﷺ فى ذلك إن استأذنته فيها، وأنا رجل شاب، قال: فبتنا على ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، حتى صليت الصبح، صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من

بيوتنا، على الحال التي ذكر الله، وقد ضاقت على الأرض بما رحبت وضاقت على نفسي، وقد كنت ابتليت خيمة في ظهر سلع فكنت أكون فيها، إذ سمعت صارخا بأعلى سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج. قال: فأخبر رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين اطلع الفجر وقد ذهب أناس يشروننا، فذهب نحو صاحبي مبشر وركض رجل إلى فرسا، وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفارس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت ثوبي فكسوته إياهما بشارة والله ما أملك غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتيهم رسول الله ﷺ وتلقاني الناس يهتئونني بالتوبة ويقولون: ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس وحوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله فحياني وهنأني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها له.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ ووجهه مشرق من السرور، قال: أبشر بخير يوم مر عليك منذ يوم ولدتك أمك، قلت: من عندك يا رسول الله أم من عند الله تبارك وتعالى؟ قال: بل من عند الله. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استبشر حتى كأن وجهه قطعة من قمر. وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، قلت: إني أمسك سهمي من خير، يا رسول الله إن الله أنجاني بالصدق، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت.

والله ما أعلم أحدا من الناس، أبلاه الله في صدق الحديث ما أبلاني، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا. وأنا أرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال كعب: فوالله ما أنعم الله على نعمة بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في

نفسى من صدقى رسول الله ﷺ يومئذ، إلا أن أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمُ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٩٥] يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [٩٦] [التوبة] قال: وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فصدقهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى فذلك قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا) وليس الذى ذكر الله لتخلفنا عن الغزو ولكن لتخليفه إيانا، وإرجائه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منهم ..

35 - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١٢٤] وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [١٢٥] أَوَّلًا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [١٢٦] وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [١٢٧] [التوبة] يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد ﷺ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول: أيها الناس (أيكم زادته) هذه السورة (إيماناً)؟ وتصديقاً بالله وبآياته. يقول الله: (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا) من الذين قيل لهم ذلك، فزادتهم السورة التى أنزلت إيماناً وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين. (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) وأما الذين فى قلوبهم مرض نفاق وشك فى دين الله، فإن السورة التى أنزلت زادتهم رجساً إلى رجسهم وذلك أنهم شكوا فى أنها من عند الله، فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا، فكان ذلك زيادة شك حادثة فى تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم؛ بل ارتابوا بذلك، فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من

النتن والنفاق، (وَمَاتُوا) يعنى هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا، (وَهُمْ كَافِرُونَ) بالله وآياته . (أَوَّلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكِّرُونَ) أولا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم فى بعض الأعوام مرة، وفى بعضها مرتين . (ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ) يقول: ثم هم مع البلاء الذى يحل بهم من الله والاختبار الذى يعرض لهم، لا يتوبون من نفاقهم ولا من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجب الله ويعاينون من آياته، فيعظوا بها ولكنهم مصرون على نفاقهم .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفتنة التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها، فقال بعضهم: ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدة . وابتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين . وقال آخرون: بل معناه أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله ﷺ وأصحابه فيفتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض . وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال: إن الله وبخ المنافقين فى أنفسهم بقلّة تذكّره وسوء تنبيههم لمواعظ الله التى يعظم بها . وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التى ينزلها بهم من الجوع والقحط، وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله ﷺ وأصحابه (وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه السورة، وهم عند رسول الله ﷺ نظر بعضهم إلى بعض فتناظروا هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو تناجيتهم بمعاب القوم يخبرهم به، ثم قام فانصرفوا من عند رسول الله ﷺ ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معاييبهم ثم ابتداء جل ثناؤه قوله: (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله، قلوب هؤلاء المنافقين، ذلك (بأنهم قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

يقول: فعل الله بهم هذا الخذلان، وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه، استكبارا ونفاقا .

36 - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود] واختلفت في تأويله فقال بعضهم: ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ غطى وجهه وثنى ظهره! وعن عبد الله بن شداد في قوله: (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال: كان أحدهم إذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره، وتغشى بثوبه كي لا يراه النبي ﷺ وقال آخرون: بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله، وظنا أن الله يخفى عليه ما تضره صدورهم إذا فعلوا ذلك! وقال آخرون: إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى. عن قتادة: (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال: أخفى ما يكون الإنسان، إذا أسر في نفسه شيئا وتغشى بثوبه، فذلك أخفى ما يكون، والله يطالع على ما في نفوسهم، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون. وقال آخرون: إنما هذا إخبار من الله نبيه ﷺ عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة، وأنهم معه وعلى دينه. يقول جل ثناؤه: أَلَا إِنَّهُمْ يَطْوُونَ صُدُورَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَسْتَخْفُوا مِنَ اللَّهِ، ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلاانيتهم .

37 - قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم] قال المسعودي: قال عبدالله: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: ما ربك ما دينك من نبيك؟ فيثبته الله فيقول: ربى الله ودينى الإسلام ونبى محمد ﷺ. وعن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له انظر إلى

مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعا. قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعين ذراعا ويملا عليه خضرا إلى يوم القيامة⁽¹⁾. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتانى القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه، جاءه ملك شديد الانتهاز فيقول له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: إنه رسول الله ﷺ وعبد. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذى كان لك فى النار قد أنجأك الله منه وأبدلك بمقعدك الذى ترى من النار مقعدك الذى ترى من الجنة. فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعونى أبشر أهلى؟ فيقال له: اسكن.

وأما المنافق: فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري أقول كما يقول الناس، فيقال له: لا دريت، هذا مقعدك الذى كان لك فى الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار. قال جابر: سمعت النبي ﷺ يقول: يبعث كل عبد فى القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه⁽²⁾. وجاء فى تاريخ مدينة دمشق: عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد، وقعدنا كأن على رؤوسنا الطير، فنكس [رسول الله ﷺ] ينكت فى الأرض ثم رفع رأسه محمر الوجه وهو يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم أنشأ يحدثنا فقال: إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا، نزلت إليه ملائكة وجوههم كالشمس معهم أكفان من ثياب الجنة. زاد عيسى وحنوط من حنوط

(1) رواه مسلم 2870 عن عبد بن حميد، وأخرجه النسائى 497 من حديث يونس بن محمد المؤدب به.

(2) إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الجنة، وقال: فقعدوا منه مد البصر حتى إذا خرج روحه تلقوه، فصلى عليه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الأرض، وفتح له كل باب من أبواب السماء ما منها من باب إلا يحب أن يدخل به منه. فيصعد به ملك ويقول: اللهم إن هذا فلان قد توفينا نفسه، فيقول الله أعيدوه فإننا قد وعدناهم أن منها خلقناهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم. فإنه ليسمع خفق نعالهم وهم مدبرون، ثم يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: الله ربى ودينى الإسلام ونبى محمد ﷺ. فينادى به. وقال عيسى: فيناديه مناد من السماء أن صدق أو صدقت افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة وأروه مكانه من الجنة. فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب من الجنة ويرى مكانه من الجنة. ثم يأتيه آت من ربه فيقول: يا هذا أبشر برحمة من الله ورضوان وجنات لك فيها نعيم مقيم. فيقول: من أنت لك الخير لوجهك وجه يأتى بخير؟ فيقول: أنا عمك الصالح، أما والله ما علمتك إلا سريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا. فيقول: وإياك. قال: فإنه لرافع يده ينادى اللهم عجل قيام الساعة ليرجع إلى أهله وما فى الجنة. وفى حديث عيسى وما له فى الجنة، ثم تلا (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ).

وإن المنافق أو الفاجر: إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه ملائكة عليهم سراييل من قطران وثياب من نار فأقعدوه قاعدا، ثم انتشطوا نفسه كما يخرج السفود⁽¹⁾ الكثير الشعث من الصوف المبتل، حتى إنه ليخرج معه العصب والعروق. فيلعنه كل ملك فى السماء، وكل ملك فى الأرض، ويغلق دونه كل باب فى السماء، ما منها من باب إلا يكره أن يدخل به منه، ثم تلا: ﴿... لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف] (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) عند الموت (وَلَا

(1) السفود: حديدة ذات شُعَبٍ مُعَقَّفَةٍ معروفه يُشَوَّى بها اللحم وجمعه سَفَافِي.

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يوم القيامة (حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ثم يقول: اللهم إن هذا فلانا قد توفينا نفسه، فيقول الله أعيدوه فإننا قد وعدناهم أن منها خلقناهم وفيها نعيدهم فإنه ليسمع خفق نعالهم وهم مدبرون، ثم يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيناديه مناد من السماء أن لا دريت فافرشوا له لوحين من النار وافتحوا له بابا إلى النار وأروه مكانه من النار. فيفرش له لوحين من النار ويرى مكانه من النار، ثم يقيض له أصم أبكم أعمى فيضربه ضربة يتحول منه حممه⁽¹⁾ ثم يعاد فيصيح صيحة حتى يسمع أهل السماء وأهل الأرض إلا الثقلين الجن والإنس. ثم يأتيه آت من ربه أبشر بسخط من الله وعذاب فيقول: من أنت لك الشر ووجهك وجه يخبر بالشر؟ فيقول: أنا عملك السيئ أما والله ما علمتك إلا بطيئا في طاعة الله، سريعا في معصية الله، فجزاك الله شرا. فيقول: وإياك. ثم تلا ﴿... وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٢٧] ﴿[إبراهيم].

38 - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج]. قال ابن زيد: هذا المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، لا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر (خسر الدنيا) لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح (والآخرة) وخسر الآخرة، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة. عن عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) كان ناس من قبائل العرب ومن حول المدينة من القرى، كانوا يقولون: نأتى محمدا ﷺ فننظر في شأنه فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه، وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون:

(1) الحُمَمَة: أراد سواد.

نحن على دينك . فإن أصابوا معيشة وتنجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان
اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق . وإن تأخر عنهم الرزق وأزلقت خيولهم وولدت
نساؤهم البنات ، قالوا: هذا دين سوء! فانقلبوا على وجوههم (ذلك هو الخسران)
يقول: خسارته الدنيا والآخرة هي الخسران ، يعنى الهلاك (المبين) يقول: يبين لمن
فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة .

- قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ
لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مَبْرُءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور] عن سعيد بن
جبير: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من
القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من
القول .

وقال آخرون: بل معنى ذلك الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال
والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء . قال ابن زيد: نزلت فى عائشة حين
رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك ، وكان عبدالله بن أبى هو الخبيث
وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها . وكان رسول الله ﷺ طيبا وكان
أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة الطيبة وكان أولى أن يكون لها الطيب
(أُولَئِكَ مَبْرُءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) قال: هاهنا برئت عائشة رضى الله عنها .

39 - وانتظر ﷺ الوحى فى عائشة ، وبعث إلى على وأسامة وبريرة ، وكان
إذا أراد أن يستشير امرا لم يعد عليا وأسامة بعد موت أبيه زيد ، فقال لعلى : ما
تقول فى عائشة فقد أهمنى ما قال الناس فيها؟ فقال له : يا رسول الله قد قال
الناس وقد حل لك طلاقها! وقال لأسامة : ما تقول أنت؟ قال : سبحان الله ما
يحل لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . فقال لبريرة : ما تقولين يا
بريرة؟ قالت : والله يا رسول الله ما علمت على أهلك إلا خيرا ، إلا أنها امرأة
نؤوم تنام حتى تجيء الداجن فتأكل عجينها ، وإن كان شئ من هذا ليخبرنك الله .

فخرج النبي ﷺ حتى أتى منزل أبى بكر فدخل عليها فقال لها: يا عائشة إن كنت فعلت هذا الأمر فقولى حتى أستغفر الله لك. قالت: والله لا أستغفر الله منه أبدا إن كنت فعلته، فلا غفر الله لى. وما أجد مثلى ومثلكم إلا مثل أبى يوسف يعقوب ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) [يوسف].

فبينما رسول الله ﷺ يكلمها إذ نزل جبريل ﷺ بالوحي على النبي ﷺ فأخذت النبي ﷺ نعسة، فقال أبو بكر لعائشة: قومى فاحتضنى رسول الله، فقالت: لا والله لا أدنو منه، فقام أبو بكر فاحتضن النبي ﷺ، فسرى عنه وهو يتسم. فقال: عائشة، قد أنزل الله عذرك، قالت: بحمد الله لا بحمدك. فتلا عليها رسول الله ﷺ سورة النور إلى الموضع الذى انتهى خبرها وعذرهما وبراءتها. فقال رسول الله ﷺ: قومى إلى البيت، فقامت وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فدعا أبا عبيدة بن الجراح، فجمع الناس، ثم تلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من البراءة لعائشة ونزل رسول الله ﷺ وبعث إلى عبد الله بن أبى المنافق، فجىء به فضربه النبي ﷺ حدين. وبعث إلى حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش فضربوا ضربا وجيعا. ووجىء فى رقابهم.

قال ابن عمر: إنما ضرب النبي ﷺ عبد الله بن أبى حدين لأنه من قذف أزواج النبي ﷺ فعليه حدان. وبعث أبو بكر إلى مسطح بن أثانة فقال: أخبرنى وأنت ابن خالتى ما حملك على ما قلت فى عائشة؟ أما حسان فرجل من الأنصار ليس من قومى، وأما حمنة فامرأة ضعيفة لا عقل لها، وأما عبد الله بن أبى فمنافق وأنت فى عيالى منذ مات أبوك وأنت ابن أربع حجج أنفق عليك وأكسوك حتى بلغت ما قطعت عنك نفقة إلى يومى هذا، والله إنك لرجل، لا وصلتك بدرهم ولا عطفت عليك بخير أبدا. ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله. فنزل القرآن: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ

اللَّهُ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور] فلما قال: (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) بكى أبو بكر وقال: أما إذ نزل القرآن بأمرى فيك، لأضاعفن لك النفقة وقد غفرت لك، فإن الله أمرنى أن أغفر لك..

40 - عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضى الله تعالى عنها زوج النبی ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، و بعض حديثهم يصدق بعضا وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجى وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، دنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدرى فإذا عقد لى من جنز عطفار قد انقطع، فرجعت فالتصمت عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه، وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقه⁽¹⁾ من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا.

(1) العُلُقَةُ من الطعام: ما يُتَبَلَّغُ به وإن لم يكن تاماً. وَقَوْلُهُمْ: اَرْضَ من الرِّكْبِ بالتعليق يُضْرَبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِأَنْ يَقْنَعَ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ دُونَ إِمْتَامِهَا كَالرَّاكِبِ عَلِيقَةً مِنَ الْإِبِلِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ.

ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب. فتيمنت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى، فيينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش، فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى، فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها، فقامت إليها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك فى من هلك، وكان الذى تولى كبر الإفك عبدالله بن أبى بن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه!

وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم، غير أنهم عصبية كما قال الله تعالى، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذى قال:

فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرينى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فذلك يرينى ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت مع أم مسطح قبل المناصب⁽¹⁾ وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا وذلك قبل أن نتخذ الكنف⁽²⁾ قريبا من بيوتنا، قالت:

(1) المناصب: المواضع التى يتخلّى فيها لبّول أو غائط أو حاجة، الواحد منصع، لأنه يبرز إليها ويظهر.

(2) الكنف: الذى يكون مُشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض؛ وقد نهى رسول الله أن تستقبل القبلة بغائط أو بول يعنى الكنف.

فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق و ابنها مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها⁽¹⁾ فقالت: تعس⁽²⁾ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أنتسين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أولم تسمعى ما قال؟ قلت: ما قال.؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. قالت: فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكمن؟ فقلت له: أتأذن لي أن أتى أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي: يا أماه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها. فقلت: سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكى.

قالت: ودعا رسول الله ﷺ عليا بن أبى طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهم حين استلبث الوحى، يسألهما ويستشيرهما فى فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيرا. وأما على فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك؟ قالت له بريرة: والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه⁽³⁾ غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله.

(1) المَرطُ: كساء من خَزَّ أو صُوف أو كَتَّان، وقيل: هو الثوب الأخضر.

(2) التَّعَسُ: الهلاك. وتَنَكَّبَ كل سِوَاء، ويقال: تَعَسَ يَتَعَسُ إذا عَثَرَ وَانْكَبَّ لوجهه.

(3) أَغْمَصَهُ عليها: أى أَعْيَبَهَا به وَأَطْعَنَ به عليها.

(وفى رواية أبى أويس: أن النبى ﷺ قال لعلى: شأنك بالجارية، فسألها على وتوعدها فلم تخبره إلا بخير، ثم ضربها وسألها فقالت: والله ما علمت على عائشة سوءاً. وفى رواية ابن إسحاق: فقام إليها على فضربها ضرباً شديداً يقول اصدقنى رسول الله ﷺ ووقع فى رواية هشام: حتى أسقطوا لها به، يقال: أسقط الرجل فى القول إذا أتى بكلام ساقط. انظر فتح البارى ج 8 ص 469).

قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبى وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى، والله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلى إلا معى. قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بنى عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرک فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک.

قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد ابن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله ﷺ قائم على المنبر. قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومى ذلك كله لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى إنى لأظن أن البكاء فالق كبدى فبينما أبواى جالسان عندى وأنا أبكى، فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث

شهرًا لا يوحى إليه فى شأنى بشيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أملت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه.

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبى: أجب رسول الله ﷺ عنى فيما قال، فقال أبى: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ؟ فقلت لأمى: أجبى رسول الله ﷺ فيما قال؟ قالت أمى: ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا، إنى والله قد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إنى بريئة لا تصدقونى، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقونى، فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ).

ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله يعلم أنى حينئذ بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحياً يتلى، لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ [من] مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه. قالت: فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك، فقالت لى أمى: قومى إليه؟ فقلت: لا والله لا أقوم إليه، فإنى لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ سورة النور العشر الآيات، ثم أنزل الله تعالى هذا فى براءتى.

قالت عائشة رضى الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة: وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط. ثم قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط. قالت: ثم قتل بعد ذلك فى سبيل الله.

- وعن سعيد بن جبیر: جلد النبى ﷺ حسان بن ثابت وعبد الله بن أبى ومسطح وحمنة بنت جحش، كل واحد منهم ثمانين جلدة فى قذف عائشة (ثم تابوا من بعد ذلك) غير عبد الله بن أبى رأس المنافقين مات على نفاقه..

41 - قوله تعالى: ﴿... وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور] عن السدى قال: أنزلت فى عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين، كانت له جارية تدعى معاذة، فكان إذا نزل به ضيف، أرسلها إليه ليوافقها إرادة الثوب منه والكرامة له! فأقبلت الجارية إلى أبى بكر فشكت ذلك إليه، فذكره أبو بكر للنبى ﷺ فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبى من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكينا؟ فأنزل الله فيهم هذا..

42 - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور] ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافرين يحسب ما قدم من عمله فى الدنيا ينفعه بل وجده بلاء وحسرة عليه، لأن الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر لأنه عمل لم يعمل لوجه الله تبارك وتعالى، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما

كان لوجه الله خالصا، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى، فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان ومن زوال النعمة بعد الإحسان..

عن ابن عباس في قوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) قال: هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء، فطلبه وظن أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئا وقبض عند ذلك. والكافر كذلك، يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيئا، ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله ينفعه ولم يغن عنه شيئا، إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب..

43 - قوله الله تعالى: ﴿... قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور] قال ابن زيد: هؤلاء المنافقون، الذين يرجعون بغير إذن رسول الله ﷺ قال: اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير إذن النبي ﷺ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) الذين يصنعون هذا (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) الفتنة هاهنا الكفر، واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك. وأخرج أبو داود في مراسيله عن مقاتل قال: كان لا يخرج أحد لرعاف أو أحداث حتى يستأذن النبي ﷺ يشير إليه بإصبعه التي تلى الإبهام، فيأذن له النبي ﷺ يشير إليه بيده، وكان من المنافقين من يثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان إذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق إلى جنبه يستتر به حتى يخرج..

44 - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ١٠٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠١﴾ [العنكبوت] قوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) نزلت في المنافقين كانوا يقولون آمنا بالله (فَإِذَا أُوذِيَ

فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ) أَى أَذَاهُمْ (كَعَذَابِ اللَّهِ) فِي الْآخِرَةِ فَارْتَدَّ عَنْ إِيمَانِهِ وَقِيلَ: جَزَعُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَجْزَعُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى فِي اللَّهِ (وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ) أَى لِلْمُؤْمِنِينَ (لَيَقُولُنَّ) هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدُونَ (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) وَهُمْ كَاذِبُونَ فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) يَعْنَى اللَّهُ أَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّسْتِهِمْ فَإِذَا أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ مِنَ اللَّهِ أَوْ مَصِيبَةٌ فِي أَنْفُسِهِمْ افْتَتَنُوا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَكَّةَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ فَإِذَا أَوْذُوا رَجَعُوا إِلَى الشَّرْكِ، قَالَ عِكْرِمَةُ: كَانَ قَوْمٌ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَكْرَهَهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِلَى بَدْرٍ فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ [النِّسَاءُ: ٩٧] فَكُتِبَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ فَخَرَجُوا فَلَحَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَافْتَتَنَ بَعْضُهُمْ فَانْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِمْ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عِيَاشِ بْنِ أَبِي رِييْعَةَ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ ثُمَّ أَوْذَى وَضُرِبَ فَارْتَدَّ. وَإِنَّمَا عَذَبَهُ أَبُو جَهْلٍ وَالْحَرْثُ وَكَانَا أَخَوَيْهِ لَأُمَّهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ وَحَسَنَ إِسْلَامِهِ (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قَالَ قَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ رَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مَكَّةَ.

- وَعَنْ ابْنِ وَهَبٍ وَابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) قَالَ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ وَظَهَرَ وَنَبَعَ الْإِيمَانُ نَبَعَ النِّفَاقَ، فَأَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ رِجَالٌ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْلَا أَنَا نَخَافُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَعَذِّبُونَنَا وَيَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ لِأَسْلَمْنَا، وَلَكِنَّا نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. فَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قَامَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالُوا: لَا يَتَخَلَّفُ عَنَّا أَحَدٌ إِلَّا هَدَمْنَا دَارَهُ وَاسْتَبَحْنَا مَالَهُ. فَخَرَجَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ الْقَوْلَ لِلنَّبِيِّ مَعَهُمْ! فَقَتَلْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ وَأَسَرْتَ طَائِفَةً، قَالَ: فَأَمَّا الَّذِينَ قَتَلُوا، فَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ)..

45 - قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذَّبُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) [القصص].

قال أكثر أهل العلم: إنه كان ابن عم موسى وكان يسمى النور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله. وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى إن مفاتيحه كان يثقل حملها على الرجال الشداد، وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين: لا تفرح أي لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)، (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) يقولون: لتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة فإنه خير وأبقى ومع هذا (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)، أي وتناول منها بمالك ما أحل الله لك فتمتع لنفسك بالملاد الطيبة الحلال، (وَأَحْسِنِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)، أي وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم إليك، (وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) أي ولا تسيء إليهم ولا تفسد فيهم فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم، فيعاقبك ويسلبك ما وهبك (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) فما كان جواب قومه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن قال:

(إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) يعنى أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم ولا إلى ما إليه أشرت، فإن الله إنما أعطانى هذا لعلمه أنى أستحقه وأنى أهل له ولولا أنى حبيب إليه وحظى عنده لما أعطانى ما أعطانى .

قال الله تعالى ردا على ما ذهب إليه : (أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) أى قد أهلك من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا، فلو كان ما قال صحيحا لم نعاقب أحدا ممن كان أكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا به كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ... ﴾ (٣٧) [سبأ] وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ يَدَيْنَا نَسَرِّعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٦) [المؤمنون] وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا إليه من معنى قوله تعالى : (إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء، أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله فى جمع الأموال فليس بصحيح، لأن الكيمياء تخيل وصبغة لا تحيل الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق، والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به، وقارون كان كافرا فى الباطن منافقا فى الظاهر، ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير ولا يبقى بين الكلامين تلازم (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) ذكر كثير من المفسرين أنه خرج فى تجميل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم، فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله، فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهم : (ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى (وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) أى وما يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية، إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده وأيد لبه وحقق مراده .

وما أحسن ما قال بعض السلف: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ) لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وفخره على قومه بها قال (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) كما روى البخارى من حديث الزهرى عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة. ثم رواه البخارى من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

وقد ذكر ابن عباس والسدى: أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس: إنك فعلت بى كذا وكذا!! فيقال: إنها قالت له ذلك فأرعد من الفرق، وصلى ركعتين، ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك، وما حملك عليه؟ فذكرت أن قارون هو الذى حملها على ذلك، واستغفرت الله وتابت إليه، فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون، فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتله وداره فكان ذلك فالله أعلم.

عن قتادة أنه قال: يخسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة. وعن ابن عباس أنه قال: خسف بهم إلى الأرض السابعة. وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا إسرائيليات كثيرة أضربنا عنها صفحا وتركناها قصدا. (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ) لم يكن له ناصر من نفسه، ولا من غيره، ولما حل به ما حل من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار وإهلاك النفس والأهل والعقار. ندم من كان تمنى مثل ما أوتى وشكروا الله تعالى الذى يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون ولهذا قالوا: (لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكُنَّ لَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ). قال قتادة: ويكأن بمعنى ألم تر أن وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم.

ثم أخبر تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) وهى دار القرار، وهى الدار التى يغبط من أعطيها ويعزى من حرمها، إنما هى سعادة (لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) فالعلو هو التكبر والفخر والبطر والفساد وعمل المعاصى، من أخذ أموال الناس وإفساد معاشهم والإساءة إليهم وعدم النصح لهم. ثم قال تعالى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ..

46 - قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ [الأحزاب] اختلف أهل التأويل فى المراد من قول الله، فقال بعضهم: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق وصفوا نبي الله ﷺ بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم. عن قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس أرايت قول الله: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوما فصلى فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم، فأنزل الله (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) وقال آخرون: بل عنى بذلك رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهيته ..

47 - قوله تعالى: ﴿... وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب] أى من شدة الخوف والفرع (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) قال ابن جرير: ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين وأن الله سيفعل ذلك. وقال محمد بن إسحاق: نجم النفاق حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط!

وقال الحسن: ظن المنافقون أن محمدا ﷺ وأصحابه [سوف] يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وعن أبى سعيد رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شىء

نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال ﷺ: نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، قال: فضرب [الله] وجوه أعدائه بالريح فهزمهم⁽¹⁾..

48 - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ [الأحزاب] قال ابن زيد: يقول لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ثم سألوا الفتنة لآتوها وسألوا أن يكفروا لكفروا، قال: وهؤلاء المنافقون، لو دخلت عليهم الجيوش والذين يريدون قتالهم ثم سألوا أن يكفروا لكفروا، قال: [وفى] الفتنة الكفر يقول الله: ﴿... وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ...﴾ [البقرة] أى الكفر، يقول: يحملهم الخوف منهم وخبت الفتنة التي هم عليها من النفاق، على أن يكفروا به.

- قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب] يقول تعالى ذكره: (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء، وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض فى غير ذلك من المواطن. (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه. والنحب: الموت، يعنى [ينتظر] منيته. (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) وما غيروا العهد الذى عاقدوا ربهم تغييرا، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم: هلم إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة. وعن قتادة: ما شكوا وما ترددوا فى دينهم ولا استبدلوا به غيره. وقال ابن زيد: لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون..

(1) رواه أحمد عن أبى عامر العقدى.

49 - قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ [الأحزاب] أى زيد بالعتق. فعوتب رسول الله ﷺ والحبيب يحب عتاب الحبيب حتى يدوم الصفاء ويكون العتاب بدل الوجد، قالت عائشة رضى الله عنها: لو أن محمدا قدر على أن يكتم شيئا من الوحي لكتم هذه الآية، وسبب العتاب على وجهين أحدهما قول ابن عباس: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ) الحب لها وطلاقه إياها وتزويجك بها، وكان ﷺ يهوى أن يخلى سبيلها وخشى قالة الناس، وذلك أنه تبنى زيد بن حارثة.

[وهذا قول غير دقيق فما كان للرسول ﷺ أن يعجب بامرأة رجل آخر. ويخشى مقالة الناس ولا يخشى الله فى ذلك. وهو الواصف له فى قرآنه الكريم بأنه على خلق عظيم. ولو كان معجبا بها لتزوجها قبل أن يزوجه لزيد ويفرضه عليها فرضا وهى كارهة له. وإنما خشى ﷺ أن يقول الناس: تزوج امرأة ابنه. وقد كان. ولم يكن قد نزل نص بذلك يبيح تغيير هذه العادة السائدة فى العرب، وهى منع زواج امرأة المتبنى. وهذا القول يدل على صحة ما ذهبنا إليه معنى قوله تعالى: ﴿...زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ [الأحزاب] أى أن الزواج تم بأمر إلهى يؤيد ذلك] قال القرطبي: روى الإمام جعفر بن محمد عن آبائه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: (زَوَّجْنَاكَهَا): لما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن، ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق، ولا شيء مما يكون شرطا فى حقوقنا ومشروعنا لنا، وهذا من خصوصياته ﷺ التى لا يشاركه فيها أحد بإجماع من المسلمين. ولهذا كانت زينب تفاخر نساء النبى ﷺ وتقول: زوجكن أبأؤكن وزوجنى الله تعالى. أخرجه النسائي عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفخر على نساء النبى ﷺ تقول: إن الله عز وجل أنكحنى من السماء - وجاء فى تفسير الطبرى حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال: كانت زينب زوج النبى ﷺ تقول للنبي

ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدل بهن. إن جدى وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل ﷺ [وهذا يدل على أن زواجه منها ﷺ كان كما ذكرنا بأمر من الله تعالى والله أجل وأعلم].

فقال: المنافقون ينهانا عن نساء أبنائنا ويتزوج امرأة ابنه، فخشى هذه القالة وقالوها من بعد تزويجه إياها، فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ...﴾ [الأحزاب] ونزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ [الأحزاب].

50 - قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [ملعونين] ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ [سنة الله في الذين خلوا من قبل] ﴿لَن تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب] عن قتادة رضي الله عنه قال: الإرجاف الكذب الذي كان يذيعه أهل النفاق ويقولون: قد أتاكم عدد وعدة، وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية، أى لنحملنك عليهم ولنحرقنك بهم. فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً) أى بالمدينة (ملعونين) قال: على كل حال (أينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً) قال: إذا هم أظهروا النفاق (سنة الله في الذين خلوا من قبل) يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق..

51 - قوله تعالى: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾ [فاطر] عن قتادة قال: هو المنافق. وقال الحسن: الظالم لنفسه المنافق. وقال آخرون: والظالم لنفسه منهم هو المنافق وهو في النار..

52 - قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [يغشى الناس هذا عذابٌ أليمٌ] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان] اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين أى يوم هو ومتى هو. وفي معنى الدخان الذى ذكر فى هذا الموضع

فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى، أن يأخذهم بسنين كسنى يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ فى أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان. عن مسروق قال: دخلنا المسجد فإذا رجل يقص على أصحابه ويقول: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتى يوم القيامة، فيأخذ أسمع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، قال: فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعا ففزع فقعد فقال: إن الله عز وجل قال لنبى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص] إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم. سأحدثكم عن ذلك، إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان قال الله تبارك وتعالى: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فقالوا: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [١٥] يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ [الدخان] قال: فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم..

53 - قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجن] [الجن] اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يحرم ما حرم ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به. وعن سعيد قال: كانت قريش تعبد العزى وهو حجر أبيض حينما من الدهر فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ). وقال الحسن: هو المنافق لا يهوى شيئا إلا ركبه. وأولى التأويل فى ذلك

بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوى من شيء دون إله الحق الذى له الألوهية من كل شيء؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره. (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) خذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد فى سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدى، ولو جاءته كل آية. (وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ) وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآى كتابه فيعتبر بها ويتدبرها ويتفكر فيها فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى. (وَقَلْبِهِ) وطبع أيضا على قلبه، فلا يعقل به شيئا، ولا يعى به حقا. وقوله: (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا إله غيره. (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدى أبدا ولن يجد لنفسه وليا مرشدا. .

54 - قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا﴾ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴿٢٠﴾ [محمد] عن قتادة قال: هؤلاء المنافقون، رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع. وكان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل. وسامع غافل. وسامع تارك. .

- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ﴾ [محمد] ﴿٢٠﴾ (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) الذين فى قلوبهم شك فى دين الله وضعف، ينظرون إليك يا محمد (نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) خوفا أن تغزوهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفا من ذلك، وتجنبنا عن لقاء العدو (نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) الذى قد صرع، وإنما عنى بقوله (مِنَ الْمَوْتِ) من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق، قال ابن زيد: فى قوله: (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ

الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) قال: هؤلاء المنافقون طبع الله على قلوبهم فلا يفقهون ما يقول النبي ﷺ وقوله: (فَأُولَى لَهُمْ) وعيد توعد الله به هؤلاء المنافقين . .

- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد] يقول تعالى ذكره أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آى القرآن الذى أنزله على نبيه ﷺ، ويتفكرون فى حججه التى بينها لهم فى تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) يقول أم أقفلوا على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله فى كتابه من المواعظ والعبر . .

- قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد] أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم، والشيطان سول لهم فلم يوفقهم للهدى، من أجل أنهم قالوا للذين كرهوا (مَا نَزَلَ اللَّهُ) من الأمر بقتال أهل الشرك؟ [وقال] المنافقون (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) الذى هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى وأمر رسوله ﷺ. وقال قتادة: هؤلاء المنافقون يقول تعالى ذكره والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين، من أهل النفاق على خلاف أمر الله وأمر رسوله، إذ يتسارون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها . .

- قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ [محمد] يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبهم شك فى دينهم وضعف فى يقينهم، فهم حيارى فى معرفة الحق، أن لن يخرج الله ما فى قلوبهم من الأضغان على المؤمنين، فيبديه لهم ويظهره حتى يعرفوا نفاقهم وحيرتهم فى دينهم، (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) يقول تعالى ذكره: ولو نشاء يا محمد لعرفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل، وقوله: (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ)

يقول فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم فى فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ).

ثم إن الله تعالى ذكره عرفه إياهم فعرفه فى سورة براءة [التوبة] فقال: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا...﴾ [التوبة] وقال: ﴿... فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا...﴾ [التوبة] وقال ابن زيد فى قوله: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) قال: هؤلاء المنافقون قال: والذى أسروا من النفاق هو الكفر. قال ابن زيد فى قوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) قال: هؤلاء المنافقون قال: وقد أراه الله إياهم، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد، قال: فأبوا إلا أن تمسكوا بلا إله إلا الله؛ فلما أبوا إلا أن تمسكوا بلا إله إلا الله حققت دماؤهم ونكحوا ونوكحوا بها. يقول تعالى ذكره: ولو نشاء يا محمد لعرفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل: سأريك ما أصنع بمعنى سأعلمك (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) يقول: فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم فى فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم، ثم إن الله تعالى ذكره عرفه إياهم. وقوله: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) يقول: ولتعرفن هؤلاء المنافقين (فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [من] قولهم: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) لا يخفى عليه العامل منكم بطاعته والمخالف ذلك، وهو مجازى جميعكم عليها..

- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح] إن الله يعلم ما هم عليه منطوون من النفاق، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيراً لا يخفى عليه شئ من أعمال خلقه سرها وعلايتها، وهو محصياها عليهم حتى يجازيهم بها، وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر عنه حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا، استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه، حذرا

من قريش أن يعرضوا له الحرب، أو يصدوه عن البيت وأحرم هو ﷺ بالعمرة وساق معه الهدى، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً فتشاكل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا خلافه. فهم الذين عنى الله تبارك وتعالى بقوله..

- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح] ولله سلطان السماوات والأرض، فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررت عليه، أو منعه من عفوه عنكم إن عفا إن أنتم تبتن من نفاقكم وكفركم. وهذا من الله جل ثناؤه حث لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ على التوبة والمراجعة إلى أمر الله في طاعة رسوله، يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله ﷺ فإن الله يغفر للتائبين (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول: ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها..

- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح] عن ابن وهب: قال لهم النبي ﷺ إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محللين رؤوسكم ومقصرين، فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام، طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا) الآية..

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة] عن ابن عباس: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليكم، فقال

الله (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) وعن مجاهد قال: يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضا يهود.

عن الزهري أن عائشة رضى الله عنها فطنت إلى قولهم فقالت: وعليكم السامة واللعنة، فقال النبي ﷺ: مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقالت: يا نبي الله ألم تسمع ما يقولون؟ قال: أفلم تسمعي ما أرد عليهم؟ أقول: عليكم. عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودى، فسلم عليهم، فردوا عليه. فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما قال؟ قالوا: سلم يا رسول الله، قال: بل قال: سام عليكم، أى تسأمون دينكم، فقال ﷺ: أقلت سام عليكم؟ قال: نعم، فقال النبي ﷺ: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليك. أى عليك ما قلت. (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) يقول جل ثناؤه: ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد ﷺ، فيعجل عقوبته لنا على ذلك، (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) يقول الله: حسب قائلى ذلك يا محمد جهنم، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة، فبئس المصير جهنم..

- يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة] اختلف أهل العلم فى النجوى التى أخبر الله أنها من الشيطان، أى ذلك هو، فقال بعضهم: عنى بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضا، وذكر عن قتادة قوله: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله فى القرآن: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا)..

55 - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ [المجادلة] قال قتادة: نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ

فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض. وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم. فقال المنافقون: ألسنتم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأينا عدل على هؤلاء، قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه. فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله رجلا يفسح لأخيه، فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لإخوانهم.

56 - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى القوم الذين تولوا قوما غضب الله عليهم وهم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم. قال ابن زيد في قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ قال: هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود، وقرأ قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر] لئن كان ذلك لا يفعلون. هؤلاء المنافقون قالوا: لا ندع حلفاءنا وموالينا يكونوا معنا لنصرتنا وعزنا، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة.

فقال الله عز وجل: ﴿... فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ...﴾ (٥٢) [المائدة] حتى بلغ: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدَرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤) [الحشر] قال: لا يبرزون. قوله: (مَا هُمْ مِنْكُمْ) ما هؤلاء الذين تولوا هؤلاء القوم، الذين غضب الله عليهم من أهل دينكم وملتكم ولا منهم، ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم، وإنما وصفهم بذلك منكم جل ثناؤه لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود قالوا: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٥) [البقرة].

وقوله (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره: ويحلفون على الكذب وذلك قولهم لرسول الله ﷺ: نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدقين به ولا مؤمنين به، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٦) [المنافقون] وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم، عاتبه رسول الله ﷺ على أمر بلغه عنه فحلف كذبا. عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان، فدخل رجل أزرق فقال له: علام تسبني أو تشتمني؟ قال: فجعل يحلف، قال: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)..

57 - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) [المجادلة] قال قتادة: إن المنافق يحلف لله يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا. روى أن عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه جبار وينظر بعين شيطان. فدخل ابن نبتل وكان أزرق، فقال له النبي ﷺ: علام تشتمني أنت

وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل . فقال ﷺ: فعلت . فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه . .

58 - قوله تعالى: ﴿لَنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَنْ نَّصُرَهُمْ لِيُوَلِّنَ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [الحشر] لئن أخرج بنو النضير من ديارهم فأجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم ولئن قاتلهم محمد ﷺ لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر، ولئن نصر المنافقون بنى النضير ليولن الأدبار منهزمين عن محمد ﷺ وأصحابه هاربين منهم قد خذلوهم (ثم لا ينصرون) ثم لا ينصر الله بنى النضير على محمد وأصحابه بل يخذلهم . .

- قوله تعالى: ﴿... تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر] قال مجاهد: هم المنافقون وأهل الكتاب . (تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا) يعنى المنافقين وأهل الكتاب تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا . وعن قتادة قال: تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق! (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) يقول جل ثناؤه: هذا الذى وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين وذلك تشيت أهوائهم، ومعاداة بعضهم بعضا، من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص . .

59 - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [١] إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ [٢] لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [٣] قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ

وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ
مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٦﴾ [الممتحنة].

عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا: لما أجمع رسول الله المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا، فجعلته فى رأسها ثم قتلت عليه قرونها. ! ثم خرجت به وأتى رسول الله الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم، فخرجنا حتى أدركاها بالحليفة فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على: إني أحلف ما كذب رسول الله ولا كذبتنا، ولتخرجن إلى هذا الكتاب أو لنكشفنك، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته إليه فجاء به إلى رسول الله، فدعا رسول الله حاطبا فقال: يا حاطب ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعنى فلاضربن عنقه فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم..

- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر] قال ابن زيد: يقول حتى يخوفنا بهؤلاء التسعة عشر. وقوله: (كَذَلِكَ يُضِلُّ

اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدة خزنة جهنم، أى شىء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوفنا بذكر عدتهم؟ ويهتدى به المؤمنون فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيماناً (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) من خلقه فيخذه عن إصابة الحق ويهتدى من يشاء منهم فيوفقه لإصابة الصواب، (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) عن قتادة قال: وما يعلم جنود ربك إلا هو أى من كثرتهم..

60 - قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴿٢٠﴾ [الحاقة] قال الحسن: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل. وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل. يقول تعالى ذكره: فأما من أعطى كتاب أعماله يمينه فيقول تعالى: (اقْرَأُوا كِتَابِيهِ) [فرحاً بما حاز من الفوز بنعيم الآخرة]. وعن قتادة (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ) ظن ظنا يقينا، فنفعه الله بظنه..

61 - قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات] حكى عن مقاتل ابن سليمان فى تفسير سورة والعاديات وقال: إن النبي ﷺ بعثه فى سرية إلى حى من بنى كنانة وأمره عليهم، وكان أحد النقباء، فغابت السرية ولم يأت خبرها، فقال المنافقون: قتلوا جميعاً: فنزلت (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا)..

62 - قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٧) [الماعون] عن زيد بن أسلم قال: أولئك المنافقون، ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها..

63 - وكان يقال لسورتى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١) و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢): المقشقشتان. أى المبرئتان من النفاق والشرك، كما يبرأ المريض من علته. يقال: قد تقشقش المريض إذا أفاق وبرأ. وتقشقش البعير: إذا برئ من الجرب وقشقشه الهناء؛ لأنهما تبرئان من النفاق..

64 - وكانت سورة براءة: تسمى الحافرة. وذلك أنها حفرت عن قلوب المنافقين، لأنه لما فرض القتال، تبين المنافق من غيره، ومن يوالى المؤمنين ممن يوالى أعداءهم..

65 - قال المقداد: أبت علينا سورة البحوث: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾ [التوبة] سميت بها لما تضمنت من البحث عن أسرار المنافقين، وإثارتهما والتفتيش عنها..

66 - قال سفيان: نزلت أربع آيات من أول البقرة فى نعت المؤمنين. وثلاث آيات فى نعت الكافرين. وثلاث عشرة آية فى نعت المنافقين..



الباب الثالث

الأحاديث النبوية والنفاق

1 - قال رسول الله ﷺ: «من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق» . .

2 - عن أبي أمامة الباهلي: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والعي شعبتان من الإيمان. والبذاء والبيان شعبتان من النفاق». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . .

3 - وعن أبي هريرة مرفوعا: «خصلتان لا تجتمعان في منافق، حسن سمته⁽¹⁾ وفقه في الدين» . . أخرجه الترمذي وهو حسن . .

4 - غزوة أحد: كان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله ﷺ يكره الخروج، وأشار بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ، وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وخرج رسول الله ﷺ حين صلى الجمعة، فالتقوا يوم السبت نصف شوال، فلما لبس رسول الله ﷺ سلاحه وخرج، ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ ونشير عليه فالوحي يأتيه فيه. فاعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما شئت فقال: لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل. فخرج في ألف واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبي بثلث الناس، فقال: أطاعهم وعصاني! وكان من تبعه أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يذكرهم الله أن لا يخذلوا نبيهم فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وانصرفوا فقال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة فسار في حرة بني حارثة وبين أموالهم، فمر بمال رجل من المنافقين يقال له: مربع بن يقظي

(1) الْحَسَنُ السَّمْتُ: حَسَنُ الْقَصْدِ وَالْمَذْهَبِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

وكان ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه قام يحثى التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي! وأخذ حفنة من تراب في يده وقال: لو أعلم أني لا أصيب غيرك لضربت به وجهك!! فابتدروه ليقتلوه، فقال النبي ﷺ: لا تفعلوا فهذا الأعمى أعمى البصر وأعمى القلب. فضربه سعد بن زيد بقوس فشججه.

[وفي حديث آخر] قال له: إن كنت نبيا فما أحل لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشججه وقال: دعني يا رسول الله أقتله فإنه منافق؟ فقال ﷺ: دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر. فقال أخوه أوس بن قيثي أبو عرابة: لا والله ولكنها عداوتكم يا بني عبد الأشهل! فقال رسول الله ﷺ: لا والله ولكنه نفاقكم يا بني قيثي⁽¹⁾.

5 - كان في قصة أحد: وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة، منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المنهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ ألا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل أن تبثلى وتكون لهم العاقبة والحكمة - أن لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقترضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليميز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروا من الفعل والقول، عاد التلويح تصريحاً وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضمًا للنفس وكسرا لشماختها، فلما ابتلى المسلمون صبروا، وجزع المنافقون. ومنها أن الله تعالى هيا لعباد المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها،

(1) [انظر الأغاني ج 9 ص 194].

ومنها أنه أراد هلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك، من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص ذنوب المؤمنين ومحقق بذلك الكافرين . .

6 - عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الأرواح جنود مجنده، فإذا التقت تشام كما تشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فلو أن رجلاً مؤمناً دخل مسجداً فيه مائة منافق ليس فيه إلا مؤمن واحد، لذهب حتى يجلس إلى ذلك المؤمن الواحد. ولو أن رجلاً منافقاً دخل مسجداً فيه مائة مؤمن ليس فيه إلا منافق واحد لذهب حتى يجلس إلى ذلك المنافق الواحد». إسناده ضعيف . .

7 - عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إنما أخاف عليكم كل منافق عليم اللسان يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور». . قال الطيبي: قول: (كل منافق عليم اللسان) أى كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، يظهر للناس التنسك والتعبد، ويسارر ربه بالعظائم إذا خلا به، ذئب من الذئاب لكن عليه ثياب. !! فهذا هو الذى حذر منه الشارع هنا. قال الزمخشري: والمنافقون أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً [وتدليساً] وبالشكر استهزاء وخداعاً، ولذلك أنزل فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء] (1).

8 - وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان». .

9 - عن ابن شهاب قال: إن رسول الله ﷺ استنفر المسلمين لموعده أبى سفيان بدرأ، فاحتمل الشيطان أوليائه من الناس فمشوا في الناس يخوفونهم وقالوا: قد أخبرنا أن قد جمعوا لكم من الناس مثل الليل يرجون أن يواقعوكم فينتهبوكم فاحذر الحذر.

(1) انظر قول الطيبي والزمخشري: فيض القدير ج2 ص419.

فعصم الله المسلمين من تخويف الشيطان، فاستجابوا لله ورسوله وخرجوا ببضائع لهم وقالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، وإن لم نلقه ابتعنا بضائعنا، فكأن بدرا متحجر يوافى كل عام، فانطلقوا حتى أتوا موسم بدر فقصوا منه حاجتهم، وأخلف أبو سفيان الموعد فلم يخرج هو ولا أصحابه، ومروا عليهم ابن حمام فقال: من هؤلاء؟

قالوا: رسول الله وأصحابه ينتظرون أبا سفيان ومن معه من قريش، فقدم على قريش فأخبرهم، فأرعب أبو سفيان ورجع إلى مكة، وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بنعمة من الله وفضل. فكانت تلك الغزوة تدعى غزوة جيش السوق وكانت فى شعبان سنة ثلاث..

10 - عن ابن عباس قال: كان النبی ﷺ قد ضرب بعث أسامة فلم يستتب لوجع رسول الله، ولخلع مسيلمة والأسود، وقد أكثر المنافقون فى تأمير أسامة حتى بلغه، فخرج النبی على الناس عاصبا رأسه من الصداق لذلك الشأن وانتشاره لرؤيا رآها فى بيت عائشة فقال: إني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن فى عضدى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن، وقد بلغنى أن أقواما يقولون فى إمارة أسامة. ولعمري لئن قالوا فى إمارته لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقا للإمارة وإنه لخليق لها، فأنفذوا بعث أسامة..

11 - لما مات سعد بن معاذ: وكان رجلا جسيما جزلا، جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون: لم نر كاليوم رجلا أخف، وقالوا: أتدرون لم ذاك؟ ذاك لحكمه فى بنى قريظة! فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذى نفسى بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره».

12 - عن أم المؤمنين زينب بنت جحش: كان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة، فمكثت عنده مدة ثم طلقها، فلما انقضت عدتها منه قال لزيد بن

حارثة: اذهب فاذكرني لها، فقال زيد: فذهبت فجعلت ظهري إلى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئا حتى أوامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله تعالى: ﴿... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ [الأحزاب].

فجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن. أخرجه مسلم. وقال المنافقون: حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه. فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ...﴾ [الأحزاب] فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي فتقول: زوجكن أبأؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات. . رواه الترمذي وصححه وكان اسمها برة فسمها ﷺ زينب. .

13 - عن عامر قال: أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرا، فكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وكان أهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه. وعن ابن عباس: وقال رسول الله ﷺ لأصحابه يومئذ: إني قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها. فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس! والله لئن لقيته لأحمنه السيف. فبلغت رسول الله ﷺ فجعل يقول لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة، يقول أضرب وجه عم رسول الله بالسيف. فقال عمر: يا رسول الله دعني فلاضربن عنقه بالسيف فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا، إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدا. وإنما نهى رسول الله عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه،

وكان فيمن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب . .

14 - عن حنظلة الأسيدى وكان من كتاب النبى ﷺ قال: لقينى أبو بكر الصديق فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة يا أبا بكر، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نافق حنظلة يا أبا بكر، قال: ومم ذاك؟ قال: نكون عند رسول الله ﷺ فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأى عين أو كأننا نراهما، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ وعافسنا الأزواج⁽¹⁾ والضيعات نسينا كثيرا، ففزع أبو بكر وقال: إذا نلقى مثل ذلك، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فلما رآنى رسول الله ﷺ قال: كيف أنت يا حنظلة أو ما شأنك يا حنظلة؟ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، قال: ومم ذاك؟ قلت: نكون عندك فتذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأى عين أو كأننا نراهما، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: والذى نفسى بيده، لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة واللفظ لأبى الطاهر . .

15 - عن أنس بن مالك قال: غدا أصحاب رسول الله ﷺ ذات يوم فقالوا: يا رسول الله هلكننا ورب الكعبة، فقال: وما ذاك؟ قالوا: النفاق النفاق، قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله؟ قالوا: بلى، قال: ليس ذاك النفاق. قال: ثم أعادوا الثانية فقالوا: يا رسول الله هلكننا ورب الكعبة، قال: وما ذاك؟ قالوا: النفاق النفاق، قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؟ قالوا: بلى، قال: ليس ذاك

(1) الْمُعَافَسَةُ: الْمُعَاجَلَةُ وَالْمُمَاسَّةُ وَالْمُلَاعَبَةُ.

النفاق قال: ثم عادوا الثالثة فقالوا: يا رسول الله هلكننا ورب الكعبة. قال: وما ذاك؟ قالوا: النفاق. قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؟ قالوا: بلى، قال: ليس ذاك النفاق، قالوا: إنا إذا كنا عندك كنا على حال فإذا خرجنا من عندك هممتنا الدنيا وأهلونا، قال: لو أنكم إذا خرجتم من عندى تكونون على الحال التى تكونون عندى لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة.

16 - عن ثابت بن الحارث الأنصارى قال: كان رجل منا من الأنصار قد نافق فأتى ابن أخيه ورقة فقال: يا رسول الله إن عمى قد نافق، ائذن لى أن أضرب عنقه، فقال: إنه قد شهد بدرا وعسى أن يكفر عنه..

17 - ذكر ابن إسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية وكانوا كفارا فى الباطن، فأتبعهم بصنف المنافقين، وهم من شرهم سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقتة. فقال رسول الله: والله لا أعلم إلا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك. قال: ونعمان بن أوفى وعثمان بن أوفى ورافع بن حريملة، وهو الذى قال فيه رسول الله يوم مات فيما بلغنا: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين. ورفاعة بن زيد بن التابوت وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته، عند مرجع رسول الله من تبوك فقال: إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة، وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم، وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا فهؤلاء ممن أسلم من منافقى اليهود. قال: فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع فى المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا، فقام أبو أيوب، إلى عمرو بن قيس وكان صاحب آلهتهم

فى الجاهلية؁ فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجـه وهو يقول لعنه الله: أأخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلببه (1) بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه فأخرجـه من المسجد وهو يقول: أف لك منافقا خبيثا .

وقام عمارة بن حزم؁ إلى زيد بن عمرو وكان طويل اللحية فأخذ بلحيته وقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجـه من المسجد؁ ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما لدمة فى صدره خر منها؁ فقال: خدشتنى يا عمارة؁ فقال عمارة: أبعدك الله يا منافق؁ فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله؁ وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد وكان بدريا؁ إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا وليس فى المنافقين شاب سواه؁ فجعل يدفع قفاه حتى أخرجـه وقام رجل من بنى خدرة إلى رجل يقال له: الحارث بن عمرو وكان ذا جمعة؁ فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجـه؁ فجعل المنافق يقول: قد أغلظت يا أبا الحارث؁ فقال: إنك أهل لذلك أى عدو الله لما أنزل فىك؁ فلا تقربن مسجد رسول الله فإنك نجس . وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجـه إخراجا عنيفا وأفف منه؁ وقال: غلب عليك الشيطان وأمره . .

18 - وعن عقبـة بن عامر مرفوعا: أكثر منافقى أمتى قراؤها . . رواه أحمد من رواية ابن لهيعة وروى مثله من حديث عبد الله بن عمرو . وقال فى النهاية: أراد بالنفاق هنا الرياء؁ لأن كليهما إظهار غير ما فى الباطن . .

(1) لَبَّيْه: أَخَذَ بِتَلْبِيْهِ وَتَلَابِيْهِ إِذَا جُمِعَتْ ثِيَابُهُ عِنْدَ نَحْرِهِ وَصَدْرِهِ؁ ثُمَّ جَرَّ رِثَهُ؁ وَكَذَلِكَ إِذَا جَعَلْتَ فى عُنُقِهِ حَبْلًا أَوْ ثَوْبًا؁ وَأَمْسَكَتَهُ بِهِ . وَالتَّلَبُّ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ .

19 - وعن أبي سعيد الخدرى: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان فى جوف⁽¹⁾ مسلم. البخل وسوء الظن»..

20 - وعن أبي سعيد مرفوعا: «خصلتان⁽²⁾ لا يجتمعان فى مؤمن. البخل وسوء الخلق».

- وقال ميمون بن مهران عن رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق، وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع فى آخر»..

21 - وقال ﷺ: «إن علامة النفاق جمود العبرة وقساوة القلب، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا»..

22 - عن أم معبد: عن النبى ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء، ولسانى من الكذب، وعينى من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور»..

23 - عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك مع الإمام التكبير الأولى من صلاة الغداة أربعين صباحا، كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق»..

24 - عن ابن عمر: قال النبى ﷺ: «إياكم والركون⁽³⁾ إلى أصحاب الأهواء فإنهم بطروا النعمة، وأظهروا البدعة، وخالفوا السنة، ونطقوا بالشبهة وسابقوا الشيطان، قولهم الإفك، وأكلهم السحت. فى دينهم النفاق والرياء يدعون للشر إلها وللخير إلها، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»..

(1) جَوْفُ الْإِنْسَانِ: بطنه، قال ابن سيده: الْجَوْفُ بَاطِنُ الْبَطْنِ.

(2) الْخَصْلَةُ: الْفَضِيلَةُ وَالرَّذِيلَةُ تَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْفَضِيلَةِ، وَجَمَعَهَا خِصَالٌ.

(3) الرُّكُونُ: السَّكُونُ إِلَى الشَّيْءِ وَالْمِيلُ إِلَيْهِ.

25 - عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: يتقارب الزمان ويظهر النفاق، وتقبض الرحمة، وترفع الأمانة، ويتهم الأمين، ويؤمن المتهم. أناخ بكم الشرف الجون» قالوا: يا رسول الله وما الشرف الجون؟ قال: «الفتن قطع كقطع الليل المظلم»..

26 - عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: فقلب أجرد: فيه مثل السرج أزهري، وذلك قلب المؤمن، وسراج فيه نوره. وقلب أغلف: مربوط على غلافه، فذلك قلب الكافر. وقلب منكوس: وذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر. وقلب مصفح: وذلك قلب فيه إيمان ونفاق. فمثل الإيمان فيه كمثلي البقلة يمدّها ماء طيب. ومثلي النفاق كمثلي القرحة يمدّها القيح والدم. فأى المادتين غلبت صاحبها غلبت عليه». غريب من حديث عمرو تفرد به شيبان عن ليث وحدث به الإمام أحمد بن حنبل عن أبي النضر عن شيبان..

- عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».. صحيح ثابت حدث به مسلم بن الحجاج عن ابن سهرم في صحيحه..

27 - كان وهبان السلمي: يرعى في غنم له، إذ هجم عليه ذئب فأخذ شاة فشد عليه وهبان فاستنقذها منه، فنحى الذئب وأقعى على ذنبه وقال: ويحك تأخذ منى رزقا ساقه الله تعالى إلى؟

فقال وهبان: ما رأيت كاليوم ذئبا يخاطبني! والله إن كنا لنسمع أن هذا من أشراط الساعة. فقال الذئب: وأعجب منى أن رسول الله بين هؤلاء النخلات وهو يومئذ إلى المدينة، ويدعو الناس إلى عبادة الله وهم يلوون. فأقبل وهبان حتى أتى رسول الله ﷺ وأخبره بما رأى.

فقال: إذا صلى الناس فحدثهم بذلك. فقام وهبان بعد الصلاة: فحدث الناس بما رأى، فقال رجل من المنافقين: كذبت. فقال النبي ﷺ صدق. في أن آيات الساعة تكون قبل الساعة، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله ويخبره علاقة سوطه بما أحدث أهله بعده، وما من أعجوبة مضت إلا وسيكون في أمتي مثلها.

وقد قال بعض أهل التفسير: إن في كلام الذئب نزلت هذه الآية: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا...﴾ [محمد] وبنو وهبان يسمون بنى مكلم الذئب إلى اليوم وهو أمر مشهور..

28 - عن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة: صحابي في الإصابة قيل: إنه هو الذي اشترى نفسه من ربه بماله الذي يدعى مال الضحاك بالمدينة، وإنه الذي قال النبي ﷺ عنه: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ذو مسحة من جماله زنته يوم القيامة زنة أحد. ويقال: إنه كان مع من اجتمع من المنافقين في تثبيط الناس عن الغزو، بحيث أمر النبي ﷺ طلحة أن يحرق عليهم البيت ففعل، وإن الضحاك اقتحم من ظهر البيت فانكسرت رجله، وأفلت وقال في ذلك:

كادت وثبت الله نار محمد يساط بها الضحاك وابن أبيرق
سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن يشهل به الريح يفرق

29 - عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «إن أثقل الصلوات على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»..

30 - روى سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون واقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضر بها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ أحد اليوم كما أجزأ فلان، فقال رسول الله: أما إنه من أهل

النار. فقال رجل من القوم: أنا صاحبه إذن، فذكر الحديث وأنه جرح فقتل نفسه، هذا الرجل من المنافقين واسمه قزمان وهذه القصة كانت يوم أحد..

31 - عن أبي الدرداء: أن رجلا يقال له حرملة: أتى النبي ﷺ فقال: الإيمان هاهنا وأشار إلى لسانه، والنفاق هاهنا وأشار إلى قلبه، ولا أذكر الله إلا قليلا. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجعل له لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحب من يحبني وصير أمره إلى خير.

قال: يا رسول الله إنه كان لى صاحب من المنافقين، وكنت رأسا فيهم أفلا أتيتك بهم؟ فقال: من أتانا استغفرنا له ومن أصر على ذنبه فالله أولى به، ولا تخرقن على أحد سترا. قلت: هذا الحديث دال على أنهم كانوا يعرفون أن محل الإيمان القلب، وأن اللسان وحده لا عبرة به ولذلك شكى هذا الرجل إلى النبي ﷺ أن الإيمان الواقع له كان على لسانه..

32 - عن أنس بن مالك رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «الدجال يطأ كل بلدة إلا مكة والمدينة، فأما المدينة، فإن الملائكة تقوم على كل نقب من أنقابها، فيأتي فينزل فترجف ثلاث رجفات، لا يبقى فيها كافر ولا منافق إلا خرج إليه»..

33 - وعن عبدالله بن عمرو مرفوعا: «أربع من كن فيه كان منافقا: ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».. رواه البخارى ومسلم. ولهما أيضا ولأحمد وغيره: وإذا وعد أخلف. بدل وإذا أؤتمن خان. قال الترمذى وغيره: معناه عند أهل العلم نفاق العمل. وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله..

34 - عن جابر: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة فى الإسلام، والإمام المقسط، ومعلم الخير»..

- عن معاذ بن جبل: قال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليكم ثلاثا وهن كائنات: زلة عالم، وجدال منافق، ودنيا تفتح عليكم»..

35 - عن عتبة بن عبد السلمي: وكان من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «القتل ثلاثة:

رجل مؤمن: جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله عز وجل تحت عرشه لا يفضلها النبيون إلا بدرجة النبوة.

ورجل مؤمن: قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك لساعتها مضمضة محت ذنوبه وخطايا. إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أى أبواب الجنة شاء. فإن بها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب بعضها أفضل من بعض.

ورجل منافق: جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى لقي العدو وقاتل حتى يقتل فذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق»..

36 - عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة، ومن صلى على مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبرائة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء».. قال الطبراني: لم يروه عن حميد إلا عبد العزيز بن قيس وتفرد به إبراهيم بن مسلم..

- وفي حديث: «حب الجاه والمال يبتنان النفاق في القلب كما يبت الماء البقل»..

37 - وفي حديث آخر: «الغناء واللهو يبتنان النفاق في القلب كما يبت الماء العشب».. رواه الديلمي عن أنس مرفوعا بزيادة: «والذى نفسى بيده إن

القرآن والذكر لينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العشب»، ولا يصح كما قاله النووي وعبارته في فتاويه: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. . أخرجہ الدیلمی عن أنس وأبی هريرة وقال ابن الغرس: عزاه الغزالي للفضيل بن عياض وقال: نقل شيخنا المناوي عن بعضهم أن المراد بالغناء هنا في الحديث غنى المال، قال: ويؤيده قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (1) أن رآه استغنى ﴿ي﴾ [العلق].

38 - وفي الحديث: «إن المنافق يؤخر العصر حتى إذا صارت الشمس كثر البقرة صلاها» (1) . .

- وفي الحديث: «إن المنافق إذا مرض ثم أعفى (2) كان كالبعير عفله أهله ثم أرسلوه، فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه» . .

39 - وعن ابن عمر مرفوعاً: مثل المنافق كالشاة العائرة (3) بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة. . أخرجہ أحمد ومسلم والنسائي رواه أحمد ومسلم والنسائي . .

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً قال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ويقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه و رأى في نفسه أنه هلك. قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما المنافق والكافر فيقول الأشهداء: ﴿... هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) [هود] متفق عليه أخرجه البخاري وأحمد وابن حبان. قيل كنفه هو ستره وعفوه . .

(1) الثُّرُوبُ: وهى الشَّحْمُ الرقيق الذى يُغْشَى الكَرِشَ والأَمْعَاءُ الواحدِ ثُرْبٌ.

(2) أعفى المريض: بمعنى عوفى.

(3) العائرة: الساقطة لا يُعْرَفُ لها مالك لا تدرى أى قطيعين تتبع.

40 - وفى الحديث: «المنافق يكين⁽¹⁾ فى هذه مرة وفى هذه مرة» . .

41 - قال جابر: كان معاذ يصلى مع النبى ﷺ ثم يأتى فيؤم قومه، فصلى مع النبى ﷺ ليلة العشاء، ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة، فأنحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف! فقالوا له: نافقت يا فلان. قال: لا والله لآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا أصحاب نواضح⁽²⁾ نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة. فأقبل رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ أفتان أنت، اقرأ بكذا. وفى بعض الروايات، اقرأ والشمس وضحاها والضحى والليل إذا يغشى وسبح اسم ربك الأعلى. هذا الرجل الذى اعتزل وصلى وحده اسمه حرام بن ملحان خال أنس بن مالك، ورأيت بخط شيخنا ابن ناصر قال: ذكر ابن سعد فى الطبقات فى المجلد الثالث عشر أن اسم هذا الرجل جزم بن أبى كعب الأنصارى . .

42 - عن بشير بن أبى عمرو الخولانى: أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم. ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن، ومنافق، وفاجر!» فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به. تفرد به أحمد . .

43 - قال جابر: كان رسول الله ﷺ بالجعرانة وهو يقسم الغنائم والتبر وهو فى حجر بلال، فقام رجل فقال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل!

(1) يَكِينُ: أَيْ يَعْدُو.

(2) النواضح من الإبل: التى يستقى عليها.

فقال عمر: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا فى أصحاب له وإن أصحابا لهذا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». قال مؤلف الكتاب: وهذا الرجل يعرف بذى الخويرة..

44 - وعن أبى هريرة مرفوعا: إن شر الناس عند الله يوم القيامة ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.. أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى. ولهما: تجدون من شر الناس. ولأبى داود والترمذى: إن من شر الناس. وهذا لأنه نفاق وخداع وكذب وتحيل على اطلاعه على أسرار الطائفتين، لأنه يأتى كل طائفة بما يرضيها ويظهر أنه معها وهى مداينة محرمة..

- وعن أبى هريرة مرفوعا: آية المنافق ثلاث. زاد مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا عاهد غدر.. أخرجه البخارى ومسلم ولهما أيضا ولأحمد وغيره. والثالثة: وإذا أؤتمن خان..

- وعن ابن عمر مرفوعا: إن الله قال: لقد خلقت خلقا ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، فبى حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، فبى يغترون أم على يتجرؤون.. أخرجه الترمذى ورواه وقال: حسن غريب. وله معناه من حديث أبى هريرة وفى أوله: يكون فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب.. أخرجه الترمذى وهو متروك. يقال: أتاح الله أى قدره له وأنزله به، وقوله: يختلون أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة..

45 - عن أبى موسى الأشعرى: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل

الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر..

46 - قال النبى ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم». وفى هذا الحديث نكتة حسنة، وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لا يرضاها بالقلب، فهو لا يثاب يوم القيامة على إقراره باللسان. هكذا المؤمن يعمل المعاصى بالإدمان لكنه لا يرضاها، فنجو أن لا يعاقب..

47 - عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا؟ فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ بتلبيه ثم أتى به النبى ﷺ فأخبره بمقالته، فقام النبى ﷺ قائما يجرد رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودى أن الصلاة جامعة وقال: يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هى اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربى فقام معاذ بن جبل وهو أخذ بتلبيه فقال: فما تأمرنا بهذا المنافق يا رسول الله؟ قال: دعه إلى النار، فكان قيس ممن ارتد فى الردة فقتل..

- عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن الجماعة يوم الجمعة قد جعلها الله علينا فريضة واجبة؟ فقال: يا حذيفة يوشك أن يجتمعوا فى مساجدهم والمؤمن يومئذ فيهم قليل، قلت: يا رسول الله يكون فيهم منافقون؟ فقال: نعم أظهر فيهم منهم اليوم فيكم.

قلت: يا رسول الله فبم يعرف المنافق فى ذلك الزمان؟

فقال: إذا رأيته نغاضا براقا قد احتشى واكتسى من الحرام يترايش⁽¹⁾ فى الناس بالحلم والعلم. إن أمر المؤمن الضعيف فيهم بأمر، قالوا: إن الله جميل

(1) نَغَضَ: السَّحَابُ إِذَا كَثُفَ ثُمَّ مَخَضَ تَرَاهُ يَتَحَرَّكُ بَعْضُهُ فِى بَعْضٍ وَلَا يَسِيرُ. احتشى: امتلاء. يترايش: يتظاهر.

يحب الجمال، أو ليس قد كلم الله تبارك وتعالى موسى ﷺ في جبة صوف وقلنسوة من لبود ونعلين من جلد حمار ميت.

أو ليس قد رفع الله عيسى ﷺ وعليه شقة قد تجلل بها، ألا وإن على هذه الجبة من صوف، وإن الله عز وجل طلب مني يقينا صادقا وعملا صالحا والنصيحة له في خلقه، وليس الجميل من يتجمل بالثياب ويخلق دينه.

48 - عن سهل بن سعد الساعدي: قال رسول الله ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملا كان في قلبه نوره».

49 - عن أبي هريرة قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه يوم القيامة، كذلك يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم. قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ، اللهم سلم سلم وفيه كلاليب مثل شوك السعدان⁽¹⁾ غير أنه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق⁽²⁾ بعمله، ومنهم المخردل⁽³⁾ حتى إذا فرغ الله من

(1) الكَلَالِبُ: حديدٌ لها مَهْمَازٌ. السَّعْدَانُ: شوك النخل وقيل: هو نبت ذو شوك كأنه فَلَكَهْ شوكه كالحا إذا يبس ومنبته سهول الأرض.

(2) المُوْبِقُ: بذنوبه أى المَهْلِك.

(3) المُخْرَدَلُ: هو المَرْمَى المَصْرُوع. وقيل المُقَطَّعُ قِطْعًا، تُقَطَّعُهُ كَلَالِبُ الصُّرَاطِ حتى يَهْوَى في النار. يقال خَرَدْتُ اللحم: أى فَصَلْتُ أَعْضَاءَهُ وَقَطَّعْتَهُ.

القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج من كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بآثار السجود فيخرجونهم قد امتحشوا⁽¹⁾ فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في جميل السيل، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبنى ريحها⁽²⁾ وأحرقنى ذكاؤها فاصرف وجهى عن النار، فلا يزال يدعو الله فيقول: لعلى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره.

فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربنى إلى باب الجنة؟ فيقول: أليس قد زعمت لا تسألنى غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فلا يزال يدعو فيقول: لعلى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره. فيعطى الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: رب أدخلنى الجنة؟

فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول: رب لا تجعلنى أشقى خلقك؟

فلا يزال يدعو حتى يضحك الله عز وجل، فإذا ضحك منه أذن له فى الدخول فيها فإذا دخل فيها قيل له: تمن من كذا؟ فيتمنى ثم يقال له: تمن من كذا؟ فيتمنى حتى تنقطع به الأمانى، فيقول: هذا لك ومثله معه. قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة.

وأبو سعيد الخدرى جالس مع أبى هريرة لا يغير عليه شيئا من حديثه، حتى انتهى إلى قوله: هذا لك ومثله معه. قال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا لك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: حفظت ومثله معه..

(1) امْتَحَشُوا: احترقوا وصاروا فَحْمًا. وَالْمَحْشُ: احتراقُ الجلد وظهورُ العظم.

(2) قَشَبْنِي رِيحُهَا: سَمَنِي رِيحُهَا.

50 - وفى حديث آخر عن عبد الله قال: يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمر المسلمون فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله لا نشرك به شيئاً فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً، فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف إلينا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن إلا خر لله ساجدا ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد كأنما فيها السفايد⁽¹⁾ فيقولون: ربنا. فيقول: قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

وعن عبد الله بن مسعود قال: ينادى مناد يوم القيامة أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم ثم صوركم ثم رزقكم ثم توليتم غيره أن يولى كل عبد منكم ما تولى؟ فيقولون: بلى. قال: فيمثل لكل قوم آلهتهم التى كانوا يعبدونها فيتبعونها حتى توردهم النار، ويبقى أهل الدعوة، فيقول بعضهم لبعض: ماذا تنتظرون ذهب الناس؟ فيقولون: ننتظر أن ينادى بنا، فيجىء إليهم فى صورة، قال: فذكر منها ما شاء الله، فيكشف عما شاء الله أن يكشف، قال: فيخرون سجداً إلا المنافقين فإنه يصير فقار أصلابهم عظما واحدا مثل صياصى البقر⁽²⁾.

وحدث عبد الله وهو عند عمر: يوم يقوم الناس لرب العالمين قال: إذا كان يوم القيامة، يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاما، شاخصة أبصارهم إلى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق، ولا يكلمهم بشر أربعين عاما. ثم ينادى مناد يا أيها الناس، أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم ثم عبدتم غيره أن يولى كل قوم ما تولوا؟ قالوا: نعم. قال: فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله، قال: ويمثل لكل قوم آلهتهم فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار. فيبقى المسلمون والمنافقون. فيقال: ألا تذهبون فقد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا

(1) السِّفَايِدُ: الشَّوَاءُ الْمُصْطَهَرُ.

(2) صَيَاصَى الْبَقْرِ: قُرُونُهَا.

ربنا، قال: وتعرفونه؟ قالوا: إن اعترف لنا، قال: فيتجلى فيخر من كان يعبد ساجدا. ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن في ظهورهم السفافيد قال: فيذهب بهم فيساقون إلى النار فيقذف بهم ويدخل هؤلاء الجنة. قال: فيستقبلون في الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج والخور العين، لكل رجل منهم في الجنة كذا وكذا، بين كل جنة كذا وكذا، بين أدناها وأقصاها ألف سنة، هو يرى أقصاها كما يرى أدناها، قال: ويستقبله رجل حسن الهيئة إذا نظر إليه مقبلا حسب أنه ربه. فيقول له: لا تفعل إنما أنا عبدك وقهرمانك على ألف قرية قال: وجعل عمر يقول: ويحك يا كعب ألا تسمع ما يقول عبد الله.

وعن أبي هريرة: عن النبي ﷺ حتى إن أحدهم ليلتف فيكشف عن ساق فيقعون سجودا، قال: وتدمج أصلاب المنافقين حتى تكون عظما واحدا كأنها صياصي البقر، قال: فيقال لهم ارفعوا رؤوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم. قال: فترفع طائفة منهم رؤوسهم إلى مثل الجبال من النور، فيمرون على الصراط كطرف العين، ثم ترفع أخرى رؤوسهم إلى أمثال القصور، فيمرون على الصراط كمر الريح، ثم يرفع آخرون بين أيديهم أمثال البيوت، فيمرون كمر الخيل، ثم يرفع آخرون إلى نور دون ذلك فيشدون شدا، وآخرون دون ذلك يمشون مشيا.

حتى يبقى آخر الناس رجل على أئمة رجله مثل السراج، فيخر مرة ويستقيم أخرى، وتصيبه النار فتشعث منه حتى يخرج فيقول: ما أعطى أحد ما أعطيت ولا يدرى مما نجا غير أنى وجدت مسها وإنى وجدت حرها، وذكر حديثا فيه طول اختصرت هذا منه . .

51 - وعن حذيفة قال: مات رجل من المنافقين فلم أذهب إلى الجنابة،

فقال [له عمر]: هو منهم؟ [ثم] قال له عمر: أنا منهم؟ قال: لا.

وعن محمد بن إسحاق بن عاصم الطفرى قال: قلت لمحمود بن ليلى: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن بنى عمه ومن عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك.

قال محمود: لقد أخبرني رجل من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الحجر [الحجر الذى ضربه رسول الله ﷺ يوم الخندق بيده الشريفة ثلاث ضربات] ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة فأمرت حتى ارتوى الناس، أقبلنا عليه نقول: ويحك أبعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة!!

52 - أمر الله تعالى رسوله ﷺ: أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلى على أحد منهم إذا مات، وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له، لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه، وهذا حكم عام فى كل من عرف نفاقه، وإن كان سبب نزول الآية فى عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين.

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما توفى عبد الله بن أبى، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه! فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلى عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلى عليه وقد نهأك ربك أن تصلى عليه؟

فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرنى الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ...﴾ [التوبة] وسأزيده على السبعين، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...﴾ [التوبة] رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة حماد ورواه البخارى..

53 - قال جابر رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يبعث كل عبد فى القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه»..

54 - عن صفوان بن عسال المرادى قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، فأقبل رجل، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: بئس أخو العشيرة أو بئس الرجل، فلما دنا منه أدنى مجلسه، فلما قام وذهب قالوا: يا رسول الله حين أبصرته قلت: بئس أخو العشيرة أو بئس الرجل ثم أدنيت مجلسه! فقال رسول الله ﷺ: إنه منافق أداريه عن نفاقه وأخشى أن يفسد على غيره..

55 - عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات مرابطا فى سبيل الله أجير من فتنة القبر، وجزى على صالح عمله الذى كان يعمل به إلى يوم القيامة، فمن مات يوم الجمعة انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى، لأن يوم الجمعة لا يسجر جهنم ويغلق أبوابها، فإذا قبض الله عبدا من عبيده يوم الجمعة كان دليل سعادته وحسن ما به عند الله، فيوم الجمعة، يوم الله الذى خلق فيه آدم وذريته، ويومه الذى تقوم فيه الساعة فيميز بين الأحباب والأعداء ويومه الذى يدعوهم إلى زيارته فى جنات عدن، فلم يكن ليعطى بركة هذا اليوم إلا من كتب له السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر. على أن سبب فتنة القبر إنما هو لتمييز المنافق من المؤمن فى البرزخ من قبل أن يلقي الله، لأن كلا الصنفين صلى عليهما وفعل بهما سنة الموتى من الغسل والتكفين، فامتحننا بالسؤال ليهتك المنافق من ستره بقوله: لا أدري. إذ ستر الله عليه نفاقه بحرمة ما أظهر من المنطق الجميل، فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله..

56 - عن عياض الأنصارى: عن النبى ﷺ قال: إن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة لها عند الله مكان، وهى كلمة من قالها صادقا: أدخله الله بها الجنة ومن قالها كاذبا: حقنت ماله ودمه ولقى الله غدا فحاسبه. وقد استدلل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق. إذا أظهر العود إلى الإسلام ولم ير قتله

بمجرد ظهور نفاقه، كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين ويجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر، مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن، وهذا قول الشافعي وأحمد في رواية عنه وحكاية الخطابي عن أكثر العلماء والله أعلم..

57 - عن ثوبان مولى رسول الله: عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، حرم الله عليها رائحة الجنة». وقال: «المختلعات هن المنافقات»..

58 - وعن أبي أذينة الصدفي: أن رسول الله ﷺ قال: «شر النساء المتبرجات وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»..

59 - عن علي بن الأحول: أن امرأة جاءت إلى الحسن فقالت: يا أبا سعيد إن زوجها صوام قوام، وإنها لم تحبه أفتختلعه منه؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ قال: المتزعات والمختلعات هن المنافقات. قالت: أعد علي؟ فأعاد عليها الحديث، قالت: والله لأصبرن. فلما انصرفت قال الحسن: ما كنت أرى بقيت امرأة تصبر نفسها على مكروه، لما بلغها من رسول الله ﷺ.

60 - إن النساء المختلعات: أي اللاتي يطلبن من أزواجهن الخلع ويبذلن لأجله المال بلا عذر، والمتزعات أي الجاذبات أنفسهن من أزواجهن بأن يردن قطع الوصلة بالفراق، يقال: نزع الشيء من يده جذبه، ويحتمل أن المراد النساء اللاتي يابئن الزوج من قومهن ويؤثرن عليهن الأجانب. قال الزمخشري: من المجاز نساء نزاع تزوجن في غير عشائرن، وعنده نزيعة ونجيب ونجبية من غير بلادة وهن المنافقات، أطلق عليهن اسم النفاق لمزيد الزجر والتهويل والتحذير من الوقوع في ذلك، فيكره للمرأة الخلع إلا لعذر، كالشقاق وكراهتها للزوج لقبح خلق ديني أو ديني، أو خوف تقصيرها في بعض حقه. أو قصدها سفرا أو نحو ذلك.. عن عقبة بن عامر الجهني وفيه قيس بن الربيع، وثقه النووي. وضعفه شعبة. وبقية رجاله رجال الصحيح، ذكره الهيثمي..

- هن المنافقات: أى اللاتى يطلبن الخلع والطلاق من أزواجهن لغير عذر
هن منافقات نفاقا عمليا. قال ابن العربى: الغالب من النساء قلة الرضا والصبر
فهن ينشزن على الرجال، ويكفرن العشير، فلذلك سماهن منافقات، والنفاق
كفران العشير، قال فى الفردوس: وقيل: إنهن اللاتى يخالعن أزواجهن من غير
مضارة منهم..

61 - عن صفوان بن محرز: أن رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول
الله ﷺ فى النجوى؟ قال: كان يقول: يدنو العبد من ربه فيضع عليه كفه فيقرره
فيقول: عملت كذا وعملت كذا؟ قال يقول: نعم يا رب، قال فيقول: فإنى قد
سترت عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته
فيقول: ﴿... هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ﴾ [الحاقة] قال: وأما المنافقون فينادون:
﴿... هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود]..

62 - عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول
الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا إقبال
رسول الله ﷺ على عثمان، أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمة أن
ضرب منكبه وقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا، فإن أرادك المنافقون
على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ثلاثا.

فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيت والله ما ذكرته.
قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى
أم المؤمنين أن اكتبى إلى به؟ فكتبت إليه به كتابا..

63 - عن أبى هريرة: قال رسول الله ﷺ: ما أتى على المسلمين شهر خير
لهم من رمضان، ولا أتى على المنافقين شهر شر من رمضان. وذلك لما يعد
المؤمنون فيه من القوة للعبادة، وما يعد فيه المنافقون من غفلات الناس وعوراتهم
هو غنم والمؤمن يغتنمه الفاجر..

64 - عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزاة وأصاب المسلمين جهد، حتى عرفت الكآبة في وجوه المسلمين، والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله قال: والله لا تغيبن حتى يأتيكم الله برزق، فعلم عثمان أن الله ورسوله تصدقا، فوجه راحلته فإذا هو بأربعة عشر راحلة فاشتراها وما عليها من الطعام، فوجه منها سبعا إلى رسول الله ووجه سبعا إلى أهله، فلما رأى المسلمون العير قد جاءت، عرف الفرح في وجوههم والكآبة في وجوه المنافقين. فقال رسول الله: ما هذا؟ فقالوا: أرسل به عثمان هدية إليك. قال أبو مسعود: فرأيت ﷺ رافعا يديه يدعو لعثمان بدعاء ما سمعته يدعو لأحد قبله ولا بعده مثله اللهم أعط لعثمان وافعل لعثمان، رافعا يديه حتى رأيت بياض إبطيه.. خرجه القزويني والحاكمي..

65 - عن هشام عن أبيه: أن رقية بنت رسول الله ﷺ توفيت، فخرج النبي ﷺ إلى بدر وهي امرأة عثمان، فتخلف عثمان وأسامة بن زيد يومئذ، فبينما هم يدفنونها إذ سمع عثمان تكبيرا فقال: يا أسامة انظر ما هذا التكبير؟ فنظر فإذا هو زيد بن حارثة على ناقه رسول الله ﷺ الجدعاء، يبشر بقتل أهل بدر من المشركين. فقال المنافقون: لا والله ما هذا بشيء ما هذا إلا الباطل حتى جيء بهم مصفدين مغللين..

66 - عن عروة قال: أمر الله رسوله ﷺ بإجلاء بنى النضير وإخراجهم من ديارهم، وقد كان النفاق كثيرا بالمدينة فقالوا: أين تخرجنا؟ قال: أخرجكم إلى المحشر، فلما سمع المنافقون ما يراد بإخوانهم وأوليائهم من أهل الكتاب أرسلوا إليهم فقالوا: إنا معكم محيانا ومماتنا إن قوتلتم فلکم علينا النصر، وإن أخرجتم لا نتخلف عنكم، ومناهم الشيطان الظهور، فنادوا النبي ﷺ إنا والله لا نخرج ولئن قاتلنا لنقاتلنك. فمضى النبي ﷺ فيهم لأمر الله وأمر أصحابه فأخذوا السلاح ثم مضى إليهم، وتحصنت اليهود في دورهم وحصونهم، فلما انتهى رسول الله ﷺ

إلى أزقتهم، أمر بالأدنى من دورهم أن يهدم وبالنخل أن يحرق ويقطع وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين فلم ينصروهم، وألقى الله في قلوب الفريقين الرعب، ثم جعلت اليهود كلما خلاص رسول الله ﷺ من هدم ما يلي مدينتهم، ألقى الله في قلوبهم الرعب، فهدموا الدور التي هم فيها من أديارها، ولم يستطيعوا أن يخرجوا على النبي ﷺ فلما كادوا أن يبلغوا آخر دورهم وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا منوهم، فلما يئسوا مما عندهم سألوا رسول الله ﷺ الذي كان عرض عليهم قبل ذلك! فقاضاهم على أن يجليهم ولهم أن يتحملوا بما استقلت به الإبل من الذي كان لهم، إلا ما كان من حلقة السلاح فذهبوا كل مذهب.. أخرج به البيهقي..

67 - قال ابن إسحاق في غزوة تبوك: كان في الطريق ماء يخرج من وشل⁽¹⁾ ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له: المشقق، فقال رسول الله ﷺ: من سبقنا إلى هذا الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه، قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقليل له: يا رسول الله فلان وفلان. فقال: أولم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيهم، ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضحه به ومسحه بيده، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء أن يدعو به، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه، ما إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم، فقال رسول الله ﷺ: لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه..

68 - عن أنس قال: شكى أصحاب النبي ﷺ إلى النبي ﷺ فقالوا: يا

(1) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتصل قطره. وقيل: لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل.

رسول الله إن المنافقين يلحظوننا بأعينهم ويلفظوننا بألسنتهم، فقال رسول الله: اتقوهم بسهام الله، قالوا: وما سهام الله يا رسول الله؟ قال: السلام..

69 - عن ابن عمر قال: لما قبض رسول الله ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه في ناحية المدينة فدخل على رسول الله ﷺ فوضع فاه على جبين رسول الله ﷺ فجعل يقبله ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا. فلما خرج مر بعمر وهو يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى تقتل المنافقين. قال: وقد كانوا استبشروا بموت رسول الله ﷺ ورفعوا رؤوسهم، فمر به أبو بكر فقال: أيها الرجل اربع على نفسك، فإن رسول الله قد مات ألم تسمع الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء]. قال: وأتى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء، فإن إلهكم حي لا يموت، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾ [آل عمران] حتى ختم الآية ثم نزل وقد استبشر المؤمنون بذلك واشتد فرحهم، وأخذ المنافقين الكآبة. قال عبدالله بن عمر: والذي نفسي بيده لكأنما كانت على وجوههما أغطية فكشفت..

70 - عن ابن مسعود قال: جاء ابننا مليكة إلى النبي ﷺ فقالا: إن أمنا كانت تكرم الزوج وتعطف على الولد والضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية قال: أمكما في النار، فأدبرا والشر يرى في وجوههما، فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجوههما رجيا أن يكون قد حدث شيء فقال ﷺ: أُمِّي مع أمكما. فقال رجل من المنافقين: وما يغني هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبه فقال رجل من الأنصار ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه: يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيهما؟ قال: فظن أنه من شيء قد سمعه. فقال: ما سألته ربي وما

أطمعنى فيه، وإنى لأقوم المقام المحمود يوم القيامة، فقال الأنصارى: وما ذاك المقام المحمود؟ قال: ذاك إذا جرى بكم عراة حفاة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام يقول: اكسوا خليلي، فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد فيستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد غيرى يغبطنى به الأولون والآخرين، قال: ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض فقال المنافقون: فإنه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضراض⁽¹⁾ قال يا رسول الله: على حال أو رضراض؟ قال: حاله المسك ورضراضه التوم⁽²⁾ قال المنافق: لم أسمع كاليوم، قلما جرى ماء قط على حال أو رضراض إلا كان له نبتة، فقال الأنصارى: يا رسول الله هل له نبت؟ قال: نعم، قضبان الذهب. قال المنافق: لم أسمع كاليوم فإنه قلما نبت قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر، قال الأنصارى: يا رسول الله هل من ثمر؟ قال: نعم ألوان الجوهر وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، إن من شرب منه مشربا لم يظمأ بعده، وإن حرمه لم يرو بعده..

71 - عن أنس قال: لما أصيب عتبان بن مالك فى بصره، بعث إلى رسول الله ﷺ: أحب أن تأتيني فتصلى فى بيتى وتدعو لنا بالبركة، فقام رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فدخلوا عليه فتحدثوا بينهم فذكروا مالك بن الدخشم، فقال بعضهم: يا رسول الله ذاك كهف المنافقين ومأواهم، فأكثروا فيه، فقال رسول الله ﷺ: أو ليس يصلى؟ قالوا: نعم يا رسول الله صلاة لا خير فيها. فقال رسول الله ﷺ: نهيت عن قتل المصلين مرتين..

72 - عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ فى صلاة الجمعة: [بسورة الجمعة] فيحرض بها المؤمنين. وفى الثانية: بسورة المنافقين فيقرع بها المنافقين..

(1) الرَضْرَاضُ: ما دَقَّ من الحَصَى الصَّغَارِ.
(2) رَضْرَاضُ التُّومِ: الرَضْرَاضُ: الحَصَى الصَّغَارِ، والتُّومُ: الدُّرُّ؛ ومنه قولهم: نَهْرٌ ذُو سِهْلَةٍ وذو رَضْرَاضٍ.

- عن أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: إن الكذب باب من أبواب النفاق وإن آية النفاق أن يكون الرجل جدلاً خصماً..

73 - عن أبي أمامة الباهلي: قال رسول الله ﷺ: العي والحياء شعبتان من الإيمان، والبذاء⁽¹⁾ والجفاء شعبتان من النفاق.. وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرطهما..

74 - وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: التطلع من ماء زمزم براءة من النفاق، وماء زمزم لما شرب له..

75 - عن أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: اللهم إني أعوذ بك من النفاق والشقاق ومن سيئ الأخلاق..

76 - عن جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي على الناس زمان يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فيكم اليوم..

- عن النواس بن سمعان: عن النبي ﷺ قال: لا تجادلوا بالقرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه ببعض، فوالله إن المؤمن ليجادل بالقرآن فيُغلب، وإن المنافق ليجادل بالقرآن فيُغلب..

77 - روى أن بشرا المنافق خاصم يهوديا، فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فلم يرض المنافق! وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه، فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال: هكذا أقضى لمن لم

(1) البذاء: المفاحشة.

يرض بقضاء الله ورسوله . فنزلت وقال جبريل : إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله ﷺ : أنت الفاروق . . قلت : ذكره الثعلبي من رواية محمد بن السائب الكلبى . .

78 - قال عقبة بن عامر : إن النبي ﷺ قال : أخوف ما أخاف على أمتي اثنتان : يتبعون الآيات والشهوات ويتركون القرآن والصلوات ، أن يتعلمه المنافقون يجادلون به أهل العلم . .

79 - عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا ، قال الليث : كانا رجلين من المنافقين . . حدثنا الليث بهذا وقالت : دخل على النبي ﷺ يوما وقال : يا عائشة ما أظن فلانا وفلانا يعرفان ديننا الذى نحن عليه . .

80 - قال محمد بن إسحاق : ولما توفى رسول الله ارتدت العرب واشربأت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبينهم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر رضي الله عنه .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ، أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد رضي الله عنه فتواری .

فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه : فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به . فظهر عتاب بن أسيد ، فهذا المقام الذى أراد رسول الله ، فى قوله لعمر بن الخطاب : يعنى حين أشار بقلع ثنيته حين وقع فى الأسرى يوم بدر إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمنه . .

81 - قال النبي ﷺ: مطل الغنى ظلم، ولا تمدح سلعتك وتذم سلعة أخيك، فإن ذلك نوع من النفاق، والزم آداب الصحبة في سوقك وتجارتك البر والصدق..

82 - روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله ما من أحد إلا ومعه شيطان؟ قال: نعم، قالت: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، أعوذ بالله من خشوع النفاق، أعوذ بالله من البعد والفراق، أعوذ بالله من مخالفة الملك الخلاق، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق. وأنشدوا:

ويحك عذ بالله ذى الجلال والمجد والنعماء والإفضال

ثم اتل آيات من القرآن ووحد الله ولا تبال

أعوذ بالله من عبد شارد، أعوذ بالله من شيطان مارد، أعوذ بالله من عدو حاسد أعوذ بالله من قلب فاسد، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد..

83 - عن ابن عباس قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله قال: هل دلتهم على رجل يطعمنا أكلة، قال رجل: نعم، قال: فتقدم فدلنا عليه، فانطلقوا إلى بيت الرجل، فإذا هو فى الخندق يعالج نصيبه منه، فأرسلت امرأته أن جئى فإن رسول الله قد أتانا، فجاء الرجل يسعى وقال: بأبى وأمى، وله معزة ومعها جديها فوثب إليها، فقال النبي: الجدى من ورائها، فذبح الجدى، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجننتها وخبزت، فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله وأصحابه. فوضع رسول الله إصبعه فيها وقال: بسم الله اللهم بارك فيها، أطعموا، فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها. فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا إلينا بعدتكم، فذهبوا فجاء

أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا، ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق فقال: اذهبوا بنا إلى سلمان وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها فقال رسول الله ﷺ: دعوني فأكون أول من ضربها فقال: بسم الله فضربها فوقعت فلقة⁽¹⁾ ثلثها فقال: الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال: الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة. فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم. .

84 - عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: إن للمنافقين علامات يعرفون بها تحييتهم لعنة، وطعامهم نهب، وغنيمتهم غلول. ولا يقربون المساجد إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صخب بالنهار. وقال يزيد بن مرة: سخب بالنهار⁽²⁾.

85 - عن أبي ذر: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم. قلت: من هم يا رسول الله؟ فأعادها ثانية، قلت: من هم يا رسول الله؟ فأعادها ثالثة، فقلت: من هم يا رسول الله قد خابوا وخسروا. قال: المنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان، والمسبل⁽⁴⁾ إزاره. .

86 - وروى في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: المذال⁽⁴⁾ من النفاق. .

(1) الفَلَقَةُ: الشق، والفَلَقُ: ما تَفَلَّقَ منه، واحدتها فَلَقةٌ.

(2) أى إذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كأنهم خشب، وإذا أصبحوا تساخبوا على الدنيا شحا وحرصا، والسخب والصخب بمعنى الصياح.

(3) المُسْبِلُ: الذى يُطَوِّلُ ثوبه ويُرْسِلُه إلى الأرض إذا مَشَى وإنما يفعل ذلك كِبَرًا واختيالاً.

(4) المذالُ: هو أن يَقْلَتِ الرجلُ عن فراشه الذى يُضَاجِعُ عليه حليلته ويتحوَّلَ عنه، لِيَفْتَرِشَهْ غَيْرُهُ!

87 - عن عروة بن الزبير قال: لما قفل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة هم جماعة من المنافقين بالفتك به وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق، فأخبر بخبرهم فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعد هو العقبة وسلكها معه أولئك نفر وقد تلثموا، وأمر رسول الله عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه عمار أخذ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوه فغضب رسول الله، وأبصر حذيفة غضبه فرجع إليهم ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر على ما أضمره من الأمر العظيم فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس، ثم قال رسول الله لحذيفة: هل عرفت هؤلاء القوم؟ قال ما عرفت إلا رواحلهم فى ظلمة الليل حين غشيتهم، ثم قال: علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟ قالوا: لا، فأخبرهما بما كانوا تمالئوا عليه وسماهم لهما واستكتمهما ذلك. فقالوا: يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم؟ فقال: أكره أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة: إلا أنه ذكر أن النبي إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده، وهذا هو الأشبه والله أعلم. ويشهد له قول أبي الدرداء لعقمة صاحب ابن مسعود: أليس فيكم يعنى أهل الكوفة صاحب السواد والوساد، يعنى ابن مسعود، أليس فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره يعنى حذيفة، أليس فيكم الذى أجاره الله من الشيطان على لسان محمد يعنى عمارا.

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال لحذيفة: أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ بعدك أحدا. يعنى حتى لا يكون مفشيا سر النبى. قلت: وقد كانوا أربعة عشر رجلا. وقيل: كانوا اثني عشر رجلا. وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ: بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له فأخبرهم رسول الله ما كان من أمرهم وبما تمالئوا عليه، ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم قال: وفيهم أنزل الله عز وجل: ﴿... وَهُمْ أَمَا لَمْ يَنَالُوا ...﴾ ﴿٧٤﴾ [التوبة].

وروى البيهقي عن حذيفة بن اليمان قال: كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به، وعمار يسوق الناقة أو أنا أسوق الناقة وعمار يقود به، حتى إذا كنا بالعقبة إذا باثنى عشر رجلا قد اعترضوه فيها، قال: فأنبعت رسول الله ﷺ فصرخ بهم، فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله ﷺ: هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين، ولكننا قد عرفنا الركاب. قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا، قال: أرادوا أن يزاحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها، قلنا: يا رسول الله أولا تبعث إلى عشائركم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: لا، أكره أن يتحدث العرب بينها أن محمدا قاتل لقومه، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ثم قال: اللهم ارمهم بالديلة⁽¹⁾، قلنا: يا رسول الله وما الديلة؟ قال: هي شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك.

وفى صحيح مسلم عن حذيفة: أن رسول الله قال: في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط: وفي رواية من وجه آخر عن قتادة: إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط! ثمانية منهم يكفيكهم الديلة سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم.

قال الحافظ البيهقي: وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر أو خمسة عشر وأشهد بالله أنهم اثنا عشر. منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة أنهم قالوا: ما سمعنا المنادى ولا علمنا بما أراد. وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده.

(1) الدُّبيلة: داء يجتمع في الجوف. وقيل: الداهية.

88 - وللديلمى بسند ضعيف عن أنس رفعه: من وقى شر قبقبه وذذببه ولقلقه⁽¹⁾ وجبت له الجنة. . ولفظ الإحياء: فقد وقى. بدل وجبت له الجنة. وقبقبة البطن وذذببة الفرج، لأنه يتذبذب أى يتحرك من الذذببة، وهو نوس الشيء المعلق فى الهواء. ومنه قيل: للمتردد بين أمرين مذبذب، وهو من صفات المنافق ولقلقه اللسان. .

(1) القَبَقَبَة: وهو صَوْتٌ يُسْمَعُ من البطن فكأنها حكاية ذلك الصَوْت. ذَبَّبه: الذَّكَرَ سُمِّيَ بِهِ لِتَذَبُّبِهِ أَى حَرَكَتِهِ. لَقَلَّقَهُ: لسانه.



الباب الرابع

الفرق بين المدح والثناء
وشكر النعمة والنفاق



1 - المدح: هو وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها، يكون نعتا حميدا، وهذا يصح من المولى فى حق عبده فقد قال الله تعالى فى حق نبيه أيوب **﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** [ص] وقال تعالى لنبيه محمد **﴿وَأَنَّكَ لَـٰعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم] وقال تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [الذين هم فى صلاتهم خاشعون] [المؤمنون] فعلى هذا يجوز مدح الإنسان بما فيه من الأخلاق الحميدة.

وأما قوله **﴿وَاللَّهُ﴾**: إذا رأيت المادحين فاحشوا فى وجوههم التراب. فقد قال العتبي: هو المدح الباطل والكذب. وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به، وقد مدح أبو طالب وحسان وكعب وغيرهم رسول الله **﴿وَاللَّهُ﴾**. ولم يبلغنا أنه حشا فى وجه مادح ترابا. وقد مدح هو المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم. وفى حشو التراب معنيان: أحدهما: التغليظ فى الرد عليه. والثانى: كأنه يقال له: يكفيك التراب.

وكان أبو بكر الصديق **﴿وَاللَّهُ﴾** إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بى من نفسى. وأنا أعلم بنفسى منهم. اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون، واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون.

ومدح سارية الديلى رسول الله **﴿وَاللَّهُ﴾**: وهو سارية الذى أمره عمر **﴿وَاللَّهُ﴾** على السرية وناداه فى خطبته بقوله: يا سارية الجبل. فمن مدحه فى رسول الله قوله:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب.

ومن أحسن ما مدحه به حسان **﴿وَاللَّهُ﴾** قوله:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبراً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبدالله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه قوله:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وماذا عسى أن يقول المادحون في وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ..

2 - وفي حديث عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، أي كان متمسكاً به وبآدابه، وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطف.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه. أي من تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما تنطوي عليه [فطرته]، أي أظهر جمالاً وتصنع وتحسن وتخلق بخلق كذا، إنما تأويله الإظهار أي يتكلفه ..

وقال القتيبي: تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتطعوا ولا تسجعوا ولا تتكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله، تنطقون عن لسانه.

وفي الحديث: قولوا: بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان. أي قولوا: بقول أهل دينكم وملتكم، يعني ادعوني رسولاً ونبياً كما سماني الله، ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم، لأنهم كانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كالسيادة بأسباب الدنيا، وقوله: بعض قولكم يعني الاقتصاد في المقال وترك الإسراف فيه، قال: وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في مدحه، يريد تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه. وفي أمثال العرب قولهم للرجل يفرط في مدح الشيء: شاكه أبا فلان أي قارب في المدح ولا تطنب. كما يقال: بدون ذا ينفق الحمار. يضرب مثلاً للرجل يكثر من مدح الشيء فيقال له: اقتصد فبدون هذا المدح تبلغ حاجتك.

وأصله أن رجلا أراد بيع حمار فجعل يمدحه، ف قيل له: أقلل فبدون ذلك يخرج حمارك في البيع. وهو من أمثال العامة يقولون: دون هذا وينفق الحمار!!

3 - والمدح: نقيض الهجاء وهو حُسنُ الثناء. والتَّقْرِيطُ: مدحُ الإنسان وهو حَيٌّ بِحَقٍّ أو باطلٍ. وهما يَتَقَارِظَانِ المدح: يمدح كلُّ صاحبه.

4 - وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه

5 - وعن همام بن الحارث: أن رجلا جعل يمدح عثمان رضي الله عنه، فعمد المقداد بن الأسود فجثا على ركبتيه، قال: وكان رجلا ضخما فجعل يحثو في وجهه الحصى فقال له عثمان: ما شأنك؟ قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في وجوه المداحين التراب. وأراد بالمداحين الذين اتَّخَذُوا مدحَ الناسِ عادةً، وجعلوه بِضَاعَةً يَسْتَأْكِلُون به الممدوح، فَأَمَّا مَنْ مَدَحَ عَلَى الْفِعْلِ الْحَسَنِ والأمر المحمود تَرْغِيًّا في أمثاله وتَحْرِيطًا للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمدح وإن كان قد صار مادحًا بما تكلم به من جَمِيلِ القول..

6 - عن معبد الجهني عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إياكم والتمادح فإنه الذبح!

وعن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا قعودا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل عليه رجل فسلم عليه، فأثنى عليه رجل من القوم في وجهه. فقال عمر: عقرت الرجل عقرك الله، تشنى عليه في وجهه في دينه!

وفي حديث آخر عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا جلوسا عند عمر، فأثنى رجل على رجل في وجهه حين أدبر. فقال: عقرت الرجل عقرك الله..

وعن أبي الأحوص: قال عبد الله: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيثنى عليه في وجهه، فيقطع ظهره فلا يمنعه شيئا..

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: مدح رجل رجلا عند رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: ويحك قطعت عنق صاحبك مرارا، ثم قال: إن كان مادحا أخاه لا محالة، فليقل له أحسبه ولا أزكى على الله أحدا..

وعن عاصم قال: قلت لقاسم: أيكره للرجل أن يمدح أخاه وهو شاهد؟ قال: نعم. فقلت: وإن كان غائبا؟ قال: كان يقال: لا تمدح أخاك..

وعن عطاء بن أبي رباح: أن رجلا كان يمدح رجلا عند ابن عمر، فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو وجهه بأصابعه، وقال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم المادحين فاحثوا في أفواههم التراب..

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم قال: سمعت عمر يقول: المدح الذبح..
7 - وفي الحديث: لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف، كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه..

8 - وقيل: خياركم من ملئت مسامعه من حسن الثناء وهو يسمع، وشراركم من ملئت مسامعه من قبح الثناء وهو يحذر!!
وقيل: سمع النبي ﷺ: رجلا يثنى على آخر، فقال: قطعت مطاه⁽¹⁾ لو سمع ما أفلح.

وقيل: إن الإطراء يدعو إلى الغفلة.

وقيل: استحياء الكريم من المدح، أكثر من استحياء اللئيم من الذم..

9 - وقيل إن من البيان لسحرا: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور، وقيل: معناه أن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر

(1) مَطَاهُ: أى ظَهْرُهُ.

قلب الشيء فى عين الإنسان وليس قلب الإعيان. ألا ترى أن البليغ يمدح إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى حبه ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه!

ومنه البذاء والبيان شعبتان من النفاق: أراد أنهما خصلتان منشؤهما النفاق. أما البذاء وهو الفحش: فظاهر، وأما البيان فإنما أراد منه بالذم، التعمق فى النطق وإظهار التقدم فيه على الناس وكأنه نوع من العجب والكبر. .

- وفى حديث أم إسماعيل عليها السلام: فأرسلوا جريا أى رسولا. ومنه الحديث: قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان، أى لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا، أى رسولا ووكيلا وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة فى المدح فنهاهم عنه، يريد تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه. .

10 - قال أبو حاتم: كفى بالعاقل فضلا وإن عدم المال، بأن تُصرف مساوى أعماله إلى المحاسن فتجعل البلادة منه حلما، والمكر عقلا، والهدر بلاغة والحدة ذكاء، والعى صمتا، والعقوبة تأديبا، والجرأة عزما، والجن تأنيا والإسراف جودا، والإمساك تقديرا، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقرا للرؤساء ناصحا للأقران، مواليا للإخوان، متحرزا من الأعداء، غير حاسد للأصحاب، ولا مخادع للأحباب، ولا يتحرش بالأشرار، ولا يبخل فى الغنى، ولا يشره فى الفاقة، ولا ينقاد للهوى، ولا يجمع فى الغضب، ولا يمرح فى الولاية، ولا يتمنى ما لا يجد، ولا يكتنز إذا وجد، ولا يدخل فى دعوى، ولا يشارك فى مرء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا، ولا يشكو الوجد إلا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح أحدا إلا بما فيه، لأن من مدح رجلا بما ليس فيه، فقد بالغ فى هجائه ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية!!

11 - وقيل: لا يجتمع الإخلاص فى القلب، ومحبة المدح والثناء، والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار والضرب والحوث.

فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة!

فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح، سهل عليك الإخلاص، فإن قلت: وما الذى يسهل على ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطمع، فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شىء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه، وأما الزهد في الثناء والمدح، فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمة ويشين إلا الله وحده.

كما قال ذلك الأعرابى للنبي ﷺ: إن مدحى زين وذمى شين، فقال: ذلك الله عز وجل. فازهد فى مدح من لا يزينك مدحه، وفى ذم من لا يشينك ذمه، وارغب فى مدح من كل الزين فى مدحه وكل الشين فى ذمه، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين، كنت كمن أراد السفر فى البحر فى غير مركب.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة]..

12 - والفرق بين الرياء وحب المدح وكراهية الذم: قيل: الرجل يقول: إنه ممن لا يريد بعمله جزاء ولا شكوراً، وهو معروف بأعمال البر بالصلاة والصدقة والصيام وغير ذلك، وقد مدحه قوم فسرّه ذلك جداً وفرح به، وذمه آخرون فساء ذلك جداً وكرهه، حتى عرف من نفسه التغير لكلا الفريقين جميعاً، كيف يعرف هذا نيته، وحب المحمّدة وكراهية المذمة ثابت فى قلبه؟ والمرائى يحب الثناء ويكره المذمة. قيل: إنه لا يجب على الناس أن يكرهوا الثناء الحسن والمحمّدة، ولا يجب

عليهم أن يحبوا المذمة، عملوا الحسنات أو لم يعملوا، إذا لم يكن ذلك منهم من معنى فاسد، لأن المرائى وإن كان يريد العمل على أن يحب المحمدة ويكره المذمة. فإن الصادق لا يجب عليه أن يكره الثناء ويحب المذمة. وإن أكثر الصادقين قد مدحوا وأثنى عليهم ولم يضرهم ذلك شيئاً. وإنما الفرق بينهما: أن المرائى إرادته وأمله فى عمله، جاء الدنيا والمنزلة عند أهلها فأفسد عمله بنيته وإرادته، نال الذى أراد من ذلك أو لم ينله حمدوه على عمله، أو لم يحمدوه ذموه أو لم يذموه، وغير المرائى إنما كره المذمة لحال ما فيها من الكراهية مثل السقوط من أعين الناس والبغضة والمقت من المؤمنين وأشباه ذلك، والثناء الحسن والقول الجميل أحبه لموضع ستر الله، ولما جاء من الرجاء فى الثناء الحسن والقول الجميل والمحبة من الناس ومودتهم له، وكان اعتقاد نيته وعزمه فى أول أمره وآخره، ألا يريد بذلك إلا وجه الله وحده والدار الآخرة، حمدوه أو ذموه أحبوه أو أبغضوه..

- وقال زياد بن أبى مسلم: ليس أحد مسمع ثناء أو مدحة، إلا تراءى له شيطان، ولكن المؤمن يراجع. فقال ابن المبارك: صدق كلاهما.. أما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام، وأما ما ذكر مطرف: فذلك قلب الخواص، وإن كان مذهبه ونيته إذا سمع ذلك وسر به، طلب الرفعة والمنزلة عند الناس، فما أسوأ حاله فى إحباط عمله.

وأما المرائى: فهو الذى يكون مذهبه ونيته فى أول عمله وآخره، طلب الثناء والمحمدة والرفعة والتكرمة عند الناس وإحراز المنافع به. فذلك الذى جاءه الويل والثبور فى الدنيا والآخرة، فإن كان يعرف معرفة حق أن ما أعجبه لهذا المعنى ولم يعجبه ذلك لما نال من الجاه عندهم فلا جناح عليه، وعلامته أن يزداد تواضعاً ويحدث خوفاً من الاستدراج وما يخفى من عمله، فهو أحب مما يظهره لأنه طمع فى طريقة الصالحين، فعلى قدر ذلك ينبغى أن يرغب فى أعمالهم وما نالوا به اسم الصلاح وصاروا من أهله، مع ما يلزمه من الخوف من الفتنة مما يلزم أهل

الثناء والمحمدة، إذا أثنى عليهم أو مدحوا، مثل قوله ﷺ: عقرت الرجل. ومثل قوله: لو سمعك ما أفلح. وقوله: قطعت عنق أخيك. وقوله: إياكم والمدح فإنه الذبح. وقوله: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب. وقوله: لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه. ومثل هذا كثير. وصاحب المدحة الخوف عليه أكثر من الرجاء لأن الخوف لا يضره والرجاء لا تؤمن فتنته.

وعلامه أصحاب الجاه في الدنيا وأصحاب الرياء المحبين لذلك: إنهم إذا سمعوا الثناء والمحمدة أحبوا ذلك وازدادوا عزة وإعجابا بأنفسهم، وغفلة عن الاستدراج وتمادوا وتمنوا وطمعوا، أن ما ظهر عليهم من أعمالهم كان أحب إليهم ما خفى ولم يخافوا من فتنة ولا من آفة، وكذلك إذا كره المذمة، إنما كرهها لأنه أحب أن يكون مكانها مدحة وثناء، لينال بذلك الجاه والقدر والمنزلة والرفعة عند الناس، فهي كراهية سقيمة مذمومة وصاحبها مغرور مخدوع، وإن كان إنما هي حب منه لستر الله عليه، وكراهية هتك الستر عنه، لأنه لم يمقته الناس حتى جاءه المقت من عند الله قبل مقت الناس. فإن كانت الكراهية إنما هي من هذه الجهة، فإن هذا يكرهه الصادق وغير الصادق فلا يلام عليه، وعلامته التضرع والاستكانة والمراجعة، والنظر في التخلص إلى طريق محبة الله تعالى وسبيل الاستقامة والإيمان والجد فيه..

13 - قال أعرابي، وقد مدح رجلا فخيبه: إن فلانا تعدى بلؤمه من تسمى باسمه، ولئن خيبنى، فلرب قافية قد ضاعت في طلب كرمي.

ومدح بشار المهدي بشعر فخيبه، فقليل له: لعلك لم تستجد المدح؟ فقال: لو مدحت بشعري ذلك الدهر لم أخش صرفه على حر! ولكن أكذب في العمل وأخيب في الأمل. وأنشد:

إني مدحتك كاذبا فأثبتني لما مدحتك ما يثاب الكاذب
وقال آخر:

ألا في سبيل الله سعى سعيته فمر ضياعا لا ثواب ولا يد
فخيلة آمالي وعصيان خالقي وكفارة الزور الذي كنت أنشد
متى يستحق الأجر من ظل عاكفا على صنم يعنوا له ثم يسجد
14 - وحدثنا أبو الفضل قال: قلت يوما بالبصرة لابن حماد في كلام جرى
بينى وبينه: أنت بحر وأنا نهر. فقال: لا جرم أنت عذب وأنا ملح، وقرظته يوما
آخر وأثنت عليه، فقال: ما أحسن هذا المدح لولا أن العارية مؤداه. .

15 - وفي أمثال العرب قولهم للرجل يفرط في مدح الشيء: شاكه أبا
فلان. أى قارب في المدح ولا تطنب. .

- قال ثعلب: وأطرى الرجل أحسن الثناء عليه، وأطرى فلان فلانا إذا
مدحه بما ليس فيه! وأطرى إذا زاد في الثناء والإطراء مجاوزة الحد في المدح
والكذب ومنه حديث النبي ﷺ لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح، وإنما أنا
عبد ولكن قولوا: عبد الله ورسوله، وذلك أنهم مدحوا [المسيح] بما ليس فيه
فقالوا: هو ثالث ثلاثة، وإنه ابن الله، وما أشبهه من شركهم وكفرهم. .

16 - وحدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: سمعت سفيان بن عيينة
يقول: قالت العلماء: لا يغر المدح من عرف نفسه. .

17 - وقالوا: أمدح المدح ما يكون بالفضل، وهو أن يقول: فلان خير من
فلان، وفلان أكرم من فلان. .

18 - وقيل: غاية المدح، أن يمدحك من لا معرفة له بك ضرورة إلى
مدحك وأن يسلفك حسن الثناء، من عسى أن لا يصل منك إلى نفع!

- ونهى عن المدح قبل الاختبار ف قيل : لا تهرف قبل أن تعرف . وقيل : لا تحمدن أمة عام شرائها ولا حرة قبل بنائها . وقال رجل لعمر رضي الله عنه : إن فلانا رجل صدق . فقال : هل سافرت معه أو ائتمنته ؟ قال : لا . فقال : إذا لا تمدحه فلا علم لك به ، لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد . .

19 - وقيل : حب المدح رأس الضياع . .

20 - ونعت أعرابي رجلا فقال : كأن الألسن والقلوب رِيضت له . فما تنعقد إلا على وده ولا تنطق إلا بحمده ! [وهذا شيء لم يتوفر لرسول الله ﷺ] . .

21 - قال علي بن عبدالله بن الحسن : في كتاب مطول كتبه لابن الحسن لسان الدين بعد تحوله عن الأندلس ونص ما تعلق به الغرض هنا : وكلامكم في المدح والهجو هو عندي من قبيل اللغو الذي نمر به كراما والحمد لله ، فكثروا أو قللوا من أى نوع شئتم ، أنتم وما ترضونه لنفسكم . .

22 - وقيل : لا ثناء في الصدقة . أى أن مَنْ تَصَدَّقَ على فقيرٍ طَلَبَ المدحَ والثناءَ ، فقد بَطَلَ أَجْرُهُ . .

23 - وقال أعرابي : إن جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح . .

24 - وقالوا : حب المدح رأس الضياع . .

وقالوا : التغيرير مفتاح البؤس . .

25 - وقيل : المدح الكاذب ذم . .

26 - وقيل: الإفراط مذموم في كل شيء، فمن أفرط في المدح نسب إلى الملق⁽¹⁾ أو أفرط في النصيحة لحقته التهمة ..

وقيل: الإفراط المبالغة في المدح ومجاوزة الحد. أو مدح الإنسان بأحسن ما فيه ..

وقيل: الهرف الإطناب في المدح. يضرب لمن يتعدى في مدح الشيء قبل تمام معرفته ..

27 - وقالوا: المدح الذبح. أى من مدح وهو يغتر بذلك فكأنه ذبح! جعل ضرره كالذبح له ..

28 - وقيل: يحرم المدح والذم بالباطل ..

29 - وقيل: [يجب] التحذير ممن يمدحك في وجهك تصنعاً.

وقيل: أعوذ بالله من صديق يطرئ، وجليس يغرى.

قال الجاحظ: شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك. وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك.

وصف العتابي رجلاً بالمداينة فقال: ذلك إن وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح، وإن استودع سرا افتضح!

وقيل: يجب الحذر ممن يتجاوز الحد في مدحك ..

(1) المَلَقُ: قيل: الودّ واللفظ الشديد، وقيل: الترفق والمداينة، ورجل مَلَقٌ: يعطى لسانه ما ليس في قلبه؛ قال الشاعر:

ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ فَحُبُّ عِلَاقَةٍ وَحُبُّ تِمْلَاقٍ وَحُبُّ هُوَ الْقَتْلُ

والمَلَقُ أَيْضاً: الذى يَعِدُّكَ وَيُخْلِفُكَ فَلَا يَفِي، ويتزين بما ليس عنده ولا يصدق وُدَّهُ. وفي الحديث: ليس من خُلِقَ المؤمن المَلَقُ؛ هو الزيادة في التَّوَدُّ والدعاء والتضرع، فوق ما ينبغى.

قيل: كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك .

وقيل: من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه!!

وفى المثل: من حفنا أو رفنا⁽¹⁾ فليقتصد .

قال أبو فراس:

ولا تقبلن القول من كل قائل سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا

وقيل لأعرابي: ما أحسن الثناء عليك؟ فقال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدامين وإن أكثروا .

30 - قال ابن الرومي

وإذا امرؤ مدح امرءا لنواله وأطال فيه فقد أسر هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه⁽¹⁾

31 - قال حكيم: من أحب الثناء فليصبر على بذل العطاء، وليوطن نفسه على الحقوق المرة على احتمال المؤونة .

32 - قدم الجمل دمشق وافدا على أحمد بن المدبر وكان أحمد يقصده

الشعراء فمن مدحه بشعر جيد أجزل صلتته، و من مدحه بشعر ردىء و جه به مع خادم له إلى الجامع، فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة ثم يصرفه!! فدخل عليه الجمل وأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحا كما بالمدح تنتجع الولاية

فقالوا أكرم الثقلين طرا ومن جدواه دجلة والفرات

وقالوا يقبل الشعراء لكن أجل صلات مادحه الصلاة

(1) حَفَّنَا أَوْ رَفَّنَا فَلْيَقْتَصِدْ: مَنْ مَدَحَنَا فَلَا يَغْلُوَنَّ فِي ذَلِكَ وَلَكِنْ لِيَتَكَلَّمْ بِالْحَقِّ.

(2) الرَّشَاءُ: الحبل الواقع قبل عَرْقُوة الدلو، ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن .

فقلت لهم وما يغنى عيالى صلاتى إنما الشأن الزكاة
فيأمر لى بكسر الصاد منها فتصبح لى الصلاة هى الصلات
33 - وأثنى رجل على هشام بن عبد الملك فقال: إنا نكره المدح . فقال:
لست أمدحك ولكنى أحمد الله فيك!!

34 - وكان الرشيد يستقبح المدح بالكذب ويذم المادح به . قال يوما لبعض
ولاته: كيف تركت الناس؟

فقال: يا أمير المؤمنين أحسنت فيهم السيرة وأنسيتهم سيرة العمرين!!
فغضب الرشيد واستشاط وقال: ويلك يا ابن الفاعلة العمرين العمرين!
وأخذ سفرجلة فرماه بها وأخرج من بين يديه . .
35 - وكذلك أبا عامر صاحب الأندلس، دخل عليه الشاعر المعروف بابن
القاضي فأنشده قصيدة أولها:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكمُ فأنْتَ الواحد القهَّارُ⁽¹⁾
ويقول فيها أشياء، فأنكر عليه ابن أبى عامر وأمر بجلده ونفيه . .

36 - حدثنا الهيثم بن عدى عن عوانة بن الحكم قال: لما استخلف عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء إليه فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم، فبينما هم كذلك
وقد أزمعوا على الرحيل، إذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان من خطباء أهل الشام
فلما رآه جرير داخلا على عمر أنشأ يقول:

يأيها الرجلُ المُرْخى عمامته هذا زمانكُ إنى قد مضى زَمْنى

(1) هذا البيت من قصيدة كفرية قالها ابن هانئ الأندلسى فى المعز لدين الله الفاطمى وعدد أبياتها اثنان وستون بيتا انظر كامل القصيدة ص 245 .

قال: فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئاً. ثم مر بهم عدى بن أرطاة، فقال له

جرير:

يأيها الرجلُ المُرْخى عمامته هذا زمانُكُ إنى قد مضى زَمْنى
أَبْلَغَ خَلِيفَتِنَا إن كنتَ لَاقِيَهُ أنى لَدَى البابِ كالمصْفُودِ فى قَرْنِ
وحشِ المَكَانَةِ من أهلى ومن وَلَدى نائى المَحَلَّةِ عن دارى وعن وطنى

قال: فدخل عدى على عمر فقال: يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدى مالى وللشعراء؟ قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ قد امتدح وأعطى، ولك فى رسول الله ﷺ أسوة. قال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة قطع بها لسانه. قال: أو تروى من قوله شيئاً؟ قال: نعم، فأنشده يقول:

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالتبيان أمراً مدلسا وأطفأت بالقرآن نارا تضرما
فمن مبلغ عنى النبى محمدا وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديما ركنه قد تهدما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا وكان مكان الله أعلا وأعظما

قال: ويحك يا عدى، من بالباب منهم؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة. قال: أوليس هو الذى يقول:

ثم نبهتها فهبت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم أنها قالت ويلنا قد عجلت يا ابن الكرام

أعلى غير موعد جئت تسرى تتخطى إلى رءوس النيام
 ما تجشمت ما تريد من الأمر ولا حيت طارقا لخصام
 فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه، لا يدخل على والله أبدا! من
 بالباب سواه؟ قال: الفرزدق، قال: أليس هو الذى يقول:

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهُ
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهُ
 فَقُلْتُ أَرْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَفْطِنُونَا بِنَا وَوَلَّيْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ
 أَبَادِرُ بَوَائِبِنِ قَدْ وَكَّلَا بِنَا وَأَحْمَرَمَ مِنْ سَاجٍ تَبِصُّ مَسَامِرُهُ
 وَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الْجُلُوسُ وَأَصْبَحْتُ مُغْلَقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهُ
 لا يطاء والله بساطى. فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم الأحوص،
 قال: أليس هو الذى يقول:

الله بينى وبين سيدها يفر منى بها وأتبعه
 فمن ها هنا أيضا؟ قال: جميل بن معمر، قال: يا عدى هو الذى يقول:
 ألا ليتنا نحيا جميعا وإن أمت يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها
 فما أنا فى طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها⁽¹⁾
 فمن سواه بالباب منهم؟ قال: الأخطل. قال: يا عدى هو الذى يقول:

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الأضاحى
 ولست بزاجر عيسا بكور إلى بطحاء مكة للنجاح
 ولست بزائر بيتا بعيدا بمكة أبتغى فيه صلاحى

(1) الصَفِيحُ: حجارة القبر العريضة.

ولست بقائم كالعير أدعو قُبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمو لا وأسجد عند منبلج الصباح
والله لا يدخل على وهو كافر أبدا. فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا
ليعمل بعد ذلك صالحا، والله لا يدخل أبدا. فهل سوى من ذكرت أحد؟ قال:
نعم، جرير قال: أما أنه الذى يقول:

طرقتك صائدة القلوب فليس ذا حين الزيارة فارجى بسلام
فإن كان لا بد فهو. قال: فأذن لجرير فدخل وهو يقول:

إن الذى بعث النبى محمدا جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلائق عدله ووفاءه حتى ارعوى فأقام ميل المائل
إنى لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل
فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله ولا تقل إلا حقا؟ فقال
جرير:

أذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم قد كفانى بما بلغت من خبرى
كم باليمامة من شعشاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعذك تكفى فقد والده كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا لسنا إليكم ولا فى دار منتظر

ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى قد طال فى الحى إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ولا يعود لنا باد على حضر

إننا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة إذ كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا بورك يا عمر الخيران من عمر

فقال: يا جرير ما أرى لك فيما هاهنا حقا، قال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن سبيل ومنقطع، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم، قال: وقد ذكر أنه قال له: ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم، فمائة أخذها عبدالله ومائة أخذتها أم عبيد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية، قال: فأخذها وقال: والله لهدى أحب من كل ما اكتسبته! قال: ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسركم، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإنى عنه لراض وأنشأ يقول:

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا
- وحكى ابن قتيبة عن حماد الراوية قال: قال لى كثير، ألا أخبرك بما دعانى إلى ترك الشعر؟ قلت: خبرنى؟ قال: شخصت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز، وكل واحد منا يدل عليه بسابقة له أو خلة، ونحن لا نشك فى أنه سيسركنا فى خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصره لقينا مسلمة بن عبد الملك جاثيا من عنده، وهو يومئذ فتى العرب، فسلمنا عليه فرد السلام ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلت: ما وضع لنا حتى لقيناك، ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا، قال: إن يكن ما تحبون وإلا فما ألبث حتى أرجع إليكم فأمنحكم ما أنتم أهله، فلما قدم كانت رحالنا هذه بأكرم منزل وأفضل منزل عليه، وأقمنا أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره فلم يأذن لنا!

إلى أن قلت فى جمعة من تلك الجمع، لو أنى دنوت من عمر فسمعت كلامه فتحفظته كان ذلك رأيا، فكان مما تحفظته من كلامه يومئذ، لكل سفر لا محالة زاد فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه و عقابه، فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فى كلام كثير ثم قال: أعوذ بالله، أن آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى، فى يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق، ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نحبه، وارتج المسجد بالبكاء والعيول.

فرجعت إلى أصحابى فقلت: خذوا فى شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمه وآبائه، فإن الرجل أخروى وليس بدنيوى. إلى أن استأذن لنا مسلمة يوم جمعة فأذن لنا بعدما أذن للعامة، فلما دخلت سلمت ثم قلت: يا أمير المؤمنين طال الثواء⁽¹⁾ وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب. فقال: يا كثير ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ...﴾ [التوبة] أفى واحد من هؤلاء أنت؟

فقلت: ابن سبيل منقطع به وأنا صاحبك، قال: أولست ضيف أبى سعيد؟ قلت: بلى، قال: ما أرى من كان ضيفه منقطعا به، قلت: أفتأذن لى فى الإنشاد يا أمير المؤمنين؟ قال: قل ولا تقل إلا حقا. فقلت:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف	بريا ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذى	أتيت فأمسى راضيا كل مسلم
وقد لبست لبسَ الهلوك ثيابها	ترأى لك الدنيا بوجه ومعصم
وتومض أحيانا بعينٍ مريضة	وتبسم عن مثل الجُمان المنظم

(1) طال الثواء: أى أطلت الإقامة بالمكان الذى أنزل فيه وبه سُمى المنزل مَثْوًى.

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما
وقد كنت من أجبالها في ممنع
فلما أتاك الملكُ عفوا ولم يكن
تركت الذي يفنى وإن كان موقفاً
سما لك هم في الفؤاد مؤرقاً
فما بين شرق الأرض والغرب كلها
يقول أمير المؤمنين ظلمتني
ولا بسط كف بامرئ غير مجرم
فأريح بها من صفقةٍ لمتابع
فقال لى: يا كثير إنك تسأل عما قلت.

سقتك مذوقاً من سمامٍ وعلقم
ومن بحرهما في مزبدٍ الموجِ مفعم
لطالبٍ دنيا بعده من تكلم
وآثرت ما يبقى برأى مصمم
بلغت به أعلى البناءِ المقدم
مناد ينادى من فصيحٍ وأعجم
بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذٍ درهم
ولا السفك منه ظالماً ملء محجم
وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

ثم تقدم الأحوص فاستأذنه في الإنشاد فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؟ فقال:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا
رأيناك لم تعدل عن الحق يمتةً
ولكن أخذت القصدَ جهدك كله
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا
ومن ذا يردُ السهمَ بعد مضائه
ولولا الذي قد عودتنا خلائف
لما وخذت شهراً برجلي رسله

بمنطق حق أو بمنطق باطل
ولا ترجعنا كالنساء الأراطل
ولا شامة فعل الظلوم المجادل
تقفو مثال الصالحين الأوائل
ومن ذا يرد الحق من قول قائل
على فوقة إن عار من نزع نابل
غطاريف كانت كالليوث البواسل
تغل متون البید بين الرواحل

فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ وإن كان مثل الدر من قول قائل
فإن لنا قربي ومحض مودةٍ وميراث آباءٍ مشوّاً بالمنازل
فدادوا عمود الشرك عن عقر دارهم وأرسوا عمود الدين بعد التماثل
وقبلك ما أعطى هنيذة جلةً على الشعر كعباً من سديس وبازل
رسول الإله المستضاء بنوره عليه سلام بالضحى والأصائل
فكل الذي عدت يكفيك بعضه ونيلك خيرٌ من بحور سوائل
فقال: يا أحوص إنك تسأل عما قلت .

وتقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له . وأمره بالغزو إلى دابق .
فخرج وهو محموم . وأمر لى بثلاثمائة درهم وللأحوص بمثلها ولنصيب بخمسين
درهما .

قال المصنف: وما زال عمر بن عبد العزيز منذ ولى يجتهد في العدل ومحو
الظلم وترك الهوى . وكان يقول للناس: ارحلوا إلى بلادكم فإنى أنساكم هاهنا
وأذكركم في بلادكم ومن ظلمه عامله فلا إذن له على . [أى فليدخل على بغير
إذن في أى وقت . ليلاً كان أو نهاراً!! رحمك الله يا عمر بن عبد العزيز ورضى
عنك كما رحمت رعيتك وسرت فيهم بالعدل . ونحن لا نذكرك على الله، وقد
صدق سفيان الثوري رحمته الله عندما عدك من الخلفاء الراشدين وأنت كذلك بإذن الله
تعالى] . .



الباب الخامس

قصص المنافقين وأخبارهم

1 - مدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له : يا هذا إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه . فقال : ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكراً! فقال له هشام: هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه .

وكتب رجل إلى عبدالله بن يحيى بن خاقان: رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر، وأيقنت أنى حيث أنتهى من القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

- وكان الحجاج: يستثقل زياد بن عمرو العكلى، فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال: يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو، وسهمك الذى يبطش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومه لائم! فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه .

- وقال أعرابى لرجل: لا يُذم بلد أنت تأوى له، ولا يشتكى زمان أنت فيه!
- وقال رجل لأبى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة: أنت والله عين الدنيا. فقال له: وأنت والله نور تلك العين .

- وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم تركوه رب صواهل وقيان⁽¹⁾
وإذا دعوتهم ليوم كريهة سدوا شعاع الشمس بالفرسان
وقال رجل لآخر: أنت بستان الدنيا. فقال له: وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان . .

(1) الصَّوَاهِلُ: جمع الصاهلة، بمعنى الصَّهِيل وهو الصوت .

2 - دخل العتابي على المأمون فقال له المأمون: خُبرتُ بوفاتك فغممتني، ثم جاءتنى وفادتُك فسرتني. فقال العتابي: لو قسمت هذه الكلمة على أهل الأرض لوسعتهم. وذلك أنه لا دين إلا بك. ولا دُنْيا إلا معك!! قال: سلني؟ قال: يداك بالعطية أطلق من لساني!!

3 - علم الحسن بن عمار أن الأعمش يقع فيه ويقول: ظالم ولي المظالم فأهدى إليه هدية، فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال: الحمد لله الذي ولي علينا من يعرف حقوقنا!

ف قيل له: كنت تذمه ثم الآن تمدحه؟

فقال: حدثني خيثمه عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

- قيل: إن المنصور بن أبي عامر الأندلسي، كان إذا قصد غزاة عقد لواء بجامع قرطبة ولم يسر إلى الغزاة إلا من الجامع. فاتفق أنه في بعض حركاته للغزاة توجه إلى الجامع لعقد اللواء، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء، فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت، فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور. فقال رجل: أبشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة، فقد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة. فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات!

4 - ومثل هذا لما خرج المنصور العباسي إلى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الأولياء وواجه الحصن، سقط الرمح من يده فأخذه بعض الأولياء فمسحه وقال:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فضحك المنصور وقال: لم ما قلت: فألقى موسى عصاه؟ فقال: يا أمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من إشارات المتأدبين. وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبي من كلام رب العالمين!

5 - لما خرج طاهر بن الحسين إلى محاربة على بن عيسى بن ماهان⁽¹⁾ جعل ذات يوم فى كمه دراهم للصدقة على الفقراء، ثم أرسل كمه ناسيا فانتفضت الدراهم منه، فتطير من ذهابها فى غير وجهها واغتم لذلك، فانتصب له من قال:

هذا تفرق جمعهم لا غيره وذهابه منه ذهاب الهم

شئ يكون الهم نصف حروفه لا خير فى إمساكه فى الكم

فتسلى به وأمر له بصلة. ولم يدر الأسبوع حتى ظفر بآبن عيسى..

- لما ولى المأمون الحسن بن رجاء الموصل، وخرج من داره واللواء بين يديه تعلق ببعض الدروب فاندق، وتطير الناس له من ذلك. فقال الشاعر الضبى:

ما كان مندق اللواء لريبة تخشى ولا أمر يكون مزيلا

لكن ذاك الرمح قصف ظهره صغر الولاية فاستقل الموصل

ورفع الخبر إلى المأمون فأمر أن يولى ديار ربيعة مع الموصل وقال: إذا استقل اللواء الموصل، فنحن نكثر قليله بزيادة الولاية. وأمر للضبى بمال..

- كان الأفشين⁽²⁾: بإزاء بابك⁽³⁾ يحاربه، فانكسر يوماً سيفه، فتطير منه حتى قال له شاعر كان معه:

(1) كان من كبار القادة فى عصر الرشيد والأمين، وهو الذى حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. قتل فى مواجهة مع جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين.

(2) الأفشين: هو حيدر بن كاووس أحد قواد المعتصم المقدمين وولاته. ولأه حرب بابك الخرمى ثم غضب عليه وحبسه مضييقاً عليه، ثم قتله.

(3) بابك: أحد الخارجين على خلفاء بنى العباس فى جبال أذربيجان صلب فى سامراء فى زمن المعتصم.

إن انكسار السيف كسر للعدى وبكسره أجناد بابك يكسروا
هاذاك فآل للظنون محققا وكأئننى بالفتح لا فأبشروا

- نظر المأمون يوما خط أحمد بن يوسف وهو يكتب بين يديه فقال وهو يتنفس الصعداء: يا أحمد أود لو أن خطك لى بنصف ملكى! فقال: يا أمير المؤمنين لو أن الخط فضيلة لما حرمه الله أعز خلقه وأجل رسله محمدا ﷺ. فقال: قد سليتني مما كنت أجد يا أحمد..

6 - وحكى أن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس وفيهم الأحنف بن قيس، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا، وكان آخر كلامه أن لعن عليا. فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن هذا القاتل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم!

7 - فى سنة خمس وثلاثين ومائتين توفى إسحاق بن إبراهيم الموصلى النديم أبو محمد، كان رأسا فى صناعة الطرب والموسيقى، أديبا عالما أخباريا شاعرا محسنا كثير الفضائل، سمع من مالك وهشيم وجماعة وعاش خمسا وثمانين سنة وكان نافق السوق عند الخلفاء إلى الغاية، يعد من الأجواد، وثقه إبراهيم الحربى قاله فى العبر. وقال ابن الأهدل: كان المأمون⁽¹⁾ يقول: لولا ما سبق لإسحاق من الشهرة بالغناء لوليته القضاء، فإنه أولى وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة. لكن طعن فيه الخطابى كما نقله النواوى عنه وقال: إنه معروف بالسخف والخلاعة وأنه لما وضع كتابه فى الأغاني وأمعن فى تلك الأباطيل، ولم يرض بما تزود من إثمها، حتى صدر كتابه بزم أصحاب الحديث وزعم أنهم يروون ما لا يدرون! وكان إسحاق قد عمى قبل وكف بصره..

(1) المأمون بن هارون الرشيد: تولى الخلافة بعد قتله أخيه محمد الملقب بالأمين، نادى بخلق القرآن وأجبر الناس عليه، سجن الإمام أحمد وقتل جماعة من المسلمين الراضين دعواه، ازداد نفوذ الفرس فى عهده.

8 - قالوا: لما بعث عيسى ابن مريم عليه السلام وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بنى إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به فيقولون: ما أكل فلان البارحة وما ادخر في منزله؟ فيخبرهم، فيزداد المؤمنون إيماناً والكافرون والمنافقون شكاً وكفراناً، وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى إليه، إنما يسبح في الأرض ليس له قرار ولا موضع يعرف به، فكان أول ما أحيا من الموتى، أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي، فقال لها: مالك أيتها المرأة؟ فقالت: ماتت ابنة لى لم يكن لى ولد غيرها، وإنى عاهدت ربى أن لا أبرح من موضعى هذا حتى أذوق ما ذاق من الموت أو يحييها الله لى فأنظر إليها. فقال لها عيسى عليه السلام: أرايت إن نظرت إليها أراجعة أنت؟ قالت: نعم. قالوا: فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومى بإذن الرحمن فاخرجى، قال: فتحرك القبر. ثم نادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله. ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب.

فقال لها عيسى: ما أبطأ بك عنى؟ فقالت: لما جاءتنى الصيحة الأولى بعث الله لى ملكاً فركب خلقى، ثم جاءتنى الصيحة الثانية فرجعت إلى روحي، ثم جاءتنى الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسى وحاجباى وأشفار عينى من مخافة القيامة. ثم أقبلت على أمها فقالت: يا أماه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين؟ يا أماه اصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا. يا روح الله وكلمته سل ربى أن يردنى إلى الآخرة وأن يهون على كرب الموت. فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الأرض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضباً.

9 - قال عطاء: يا أبا عبدالله بينا أنا قائم أصلى وأنا غلام، إذ أتانى رجل على فرس فقال: يا غلام عليك بالبر والتقوى، فإن البر والتقوى يهديان إلى الإيمان وإياك والكذب والفجور، فإن الكذب والفجور يهديان إلى النار، ثم قال: يا ابن أخى اصحب أولياء الله، فإن أولياء الله هم الألباء العقلاء الحذرون

المسارعون في رضوان الله المراقبون لله، فإذا رأيت أهل الصفة فاقترّب منهم فهم أولياء الله. فقلت: كيف أعرف أهل النفاق والكذب والفجور؟ فقال: أولئك قوم إذا رأيتهم يأباهم قلبك ولا يقبلهم عقلك، إذا سمعت كلامهم سمعت كلاما حلوا له لذادة ولا منفعة له. وإياك أن تصحب أهل الخلاف، قلت: ومن أهل الخلاف؟ قال: المفارقون لأهل السنة والكتاب، أولئك عبيد أهوائهم، تراهم مصطحبين وقلوبهم تلعن بعضهم بعضا فاحذر هؤلاء واجتنبهم، وعليك بالصلاة، وانه عن محارم الله وتقرب إلى الله بالنوافل، فإنك إذا كنت كذلك، كنت شاكرا عالما غنيا، قال: ثم التفت فلم أر شيئا..

10 - عن عبد الملك بن أبي القاسم قال: قال عمرو بن العاص لرجل من تجيب: يا منافق. فقال التجيبي: ما نافقت منذ أسلمت، ولا أغسل رأسي ولا أدهنه حتى آتي عمر رضي الله عنه. فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن عمرو نفقني، ووالله ما نافقت منذ أسلمت. فكتب عمر رضي الله عنه إلى عمرو، وكان إذا غضب عليه يكتب: إلى العاص بن العاص، أما بعد فإن فلانا التجيبي ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين. أو قال سبعين! فقام [التجيبي فسافر إلى مصر ودخل المسجد] فقال: أنشد الله رجلا سمع عمرا نفقني إلا قام فشهد؟ فقام عامة أهل المسجد! فقال له حشمة: أتريد أن تضرب الأمير؟ قال: وعرض عليه الأرض⁽¹⁾ فقال: لو ملئت لي هذا الكنيسة ما قبلت. فقال له حشمة: أتريد أن تضربه؟ فقال التجيبي: ما أرى لعمر رضي الله عنه هاهنا طاعة! فلما ولى. قال عمرو: ردوه، فأمكنه من السوط وجلس بين يديه. قال: أتقدر أن تمتنع مني بسلطانك؟ قال: لا. فامض لما أمرت به. قال: فإني أدعك لله..

11 - قال سفيان الثوري رضي الله عنه: لعلى بن الحسن السليمي، إياك وخشوع النفاق وأن تظهر على وجهك خشوعا ليس في قلبك..

(1) الأرض: دية الجراحات.



الباب السادس

قالوا فى النفاق

1 - إن الزمان قد تبين للعاقل تغيره ولاح للبيب تبدله، حيث ييس ضرعه بعد الغزارة، وذبل فرعه بعد النضارة، ونحل عوده بعد الرطوبة، وبشع مذاقه بعد العذوبة، فنيع فيه أقوام يدعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صدورهم، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات⁽¹⁾ قلوبهم، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند العضلات النفاق والمداهنة⁽²⁾ وفروعه عند ورود النائبات حسن اللباس والفصاحة. وزعموا أن من أحكم هذه الأشياء الأربع فهو العاقل الذى يجب الاقتداء به، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك⁽³⁾ الذى يجب الازورار عنه، والرعاى من العالم يغترون بأفعالهم، والهملج من الناس يقتدون بأمثالهم. .

2 - قال رجل لحذيفة بن اليمان: أخشى أن أكون منافقاً؟ فقال له: لو كنت منافقاً لم تخش. .

3 - حدثنا ضمرة عن الشيبانى قال: فى الكتب مكتوب كما تدين تدان، وبالكأس الذى تسقى به تشرب وزيادة، لأن البادئ لا بد له من أن يزداد.

- قال أبو حاتم: التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان. والعاقل يحسن الظن بإخوانه وينفرد بغمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسىء الظن بإخوانه ولا يفكر فى جنائياته وأشجانه. .

4 - قيل: إن للوفاء عند الله محلاً ومنزلة، وهذا كما يقال: لى من قلب فلان مكان، يضرب فى مدح الوفاء بالوعد. روى عن عبدالله بن عمر أنه كان

(1) الهَاجِسُ: الخاطر أى حدس بمعنى وقع وخطر.

(2) المَدَاهَنَةُ: المصانعة.

(3) الأَنُوكُ: العاجز الجاهل العيى.

وعد رجلا من قريش أن يزوجه ابنته، فلما كان عند موته أرسل إليه فزوجه وقال: كرهت أن ألقى الله بثلاث النفاق..

5 - قال رجل لابن عقيل: أسمع وصية الله عز وجل يقول: ﴿...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت] وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقا، فكيف لى بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق؟ فقال ابن عقيل: النفاق هو إظهار الجميل وإبطال القبيح. وإضمار الشر مع إظهار الخير لإيقاع الشر. والذى تضمنته الآية إظهار الحسن فى مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن، فخرج من هذه الجملة، أن النفاق إبطال الشر وإظهار الخير لإيقاع الشر المضمّر، ومن أظهر الجميل والحسن فى مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فهذا اكتساب استمالة ودفع عداوة، وإطفاء ليران الحقد واستنماء الود، وإصلاح العقائد. فهذا طب المودات واكتساب الرجال..

6 - قال محمد بن يسير يعاشر:

قد كنت منقبضا وأنت بسطتنى حتى انبسطت إليك ثم قبضتنى
أذكرتنى خلق النفاق وكان لى خلقا فقد أحسنت إذ أذكرتنى

7 - قال السقطى: من أخلاق سلامة الصدر النصيحة للإخوان، ومن آدابها أن لا تعد أخاك وعدا ثم تخلفه، فإنه من النفاق..

8 - ذكر أبو الحسن المدائنى عن أشياخه: عن الحجاج أنه كان يقول: لما نزلت الأشياء منازلها، قالت الطاعة: أنا أنزل الشام، فقال الطاعون: وأنا معك. وقال الخصب: أنا أنزل العراق، فقال النفاق: وأنا معك. وقالت الصحة: أنا أنزل البادية، فقال الشقاق: وأنا معك. ولم تزل الشام كثيرة الطواعين حتى صارت

تواريخ، وكانت تظهر بالشام ثم تمتد إلى العراق، وأول طاعون وقع في الشام في الإسلام طاعون عمواس، وذلك في زمن عمر بن الخطاب وفيه مات معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما .

9 - خطب عمر بن الخطاب فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ: أيها الناس إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحي، فمن أسر شيئاً أخذ بسريره ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر لنا قبيحا وزعم أن سريره حسنة لم نصدق، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فأنفقوا خيرا لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، أيها الناس أطيّبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القباطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف. أيها الناس إنى لوددت أن أنجو كفافا لا لى ولا على، وإنى لأرجو إن عمرت فيكم سيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته، إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، وإن لم يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه بدنه، وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله، ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف، والقتل حتف من الخوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه .

- خطبت السيدة عائشة رضى الله عنها: أهل البصرة يوم الجمل فقالت: أيها الناس صه صه إن لى عليكم حق الأمومة وحرمة الموعظة، لا يتهمنى إلا من عصى ربه، مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى، فأنا إحدى نسائه، فى الجنة له ادخرنى ربي وخلصنى من كل بضاعة، وبى ميز منافقكم من مؤمنكم، وبى أرخص الله لكم فى صعيد الأبواء .

ثم أبى ثانى اثنين الله ثالثهما، وأول من سمى صديقا، مضى رسول الله ﷺ راضيا عنه وطوقه أعباء الإمامة ثم اضطرب حبل الدين بعده، فمسك أبى بطرفيه ورتق لكم فتق النفاق وأغاض نبع الردة وأطفأ ما حش يهود، وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة، فرأب الثأى وأود من الغلظة وانتاش من الهوة واجتحي دفين الداء، حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله إليه واطئا على هامات النفاق، مذكيا نار الحرب للمشركين، فانتظمت طاعتكم بحبله .

فولى أمركم رجلا مرعيا إذا ركن إليه بعيد ما بين اللابتين عركة للأداة بجنبه صفوحا عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل فى نصرة الإسلام، فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع أعضاد ما جمع القرآن، وأنا نصب المسألة عن مسيرى هذا لم ألتمس إثما ولم أونس فتنة أوطئكموها، أقول قولى هذا صدقا وعدلا وإعذارا وإنذارا، وأسأل الله أن يصلى على محمد وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين . .

10 - وقال عمر رضي الله عنه : لا حظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة، فهى الركن الأعظم من أركان الإيمان والأس الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها فى المساجد وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمر لا يضيعه المفلحون ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون. قال ابن مسعود: لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف، وشهود الصبح والعشاء والآخرة شاهد بتمحيص الإيمان . .

11 - عن عبد الله بن سلمة عن معاذ قال: كيف أنتم عند ثلاث: دنيا تقطع رقابكم، وزلة عالم، وجدال منافق بالقرآن؟ قال: فسكتوا، فقال معاذ بن جبل: أما دنيا تقطع رقابكم، فمن جعل الله غناه فى قلبه فقد هدى، ومن لا فليس بنافعته دنياه، وأما زلة عالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم وإن فتن فلا

تقطعوا منه أناةكم، فإن المؤمن يفتن ثم يفتن ثم يتوب، وأما جدال منافق بالقرآن فإن للقرآن منارا كمنار الطريق لا يكاد يخفى على أحد، فما عرفتم فتمسكوا به وما أشكل عليكم فكلوه إلى عامله . .

12 - حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي قال: كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة، فأدخلني يوما إلى منزله ثم قدم طعاما ومريقة من حبوب ليس فيها لحم، ثم قدم إلى زبيبا ثم قال: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر. فاستلقى ثم تلى: ﴿... عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۚ﴾ [الأعراف] فلما ولي الخلافة دخلت عليه، فقال يا عبد الرحمن: بلغني أنك كنت تفد لبي أمية؟ قلت: أجل كنت أفد لهم وأفد إليهم، قال: فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟ قلت: يا أمير المؤمنين والله ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيت في سلطانه، تحفظ يوم أدخلتني منزلك فقدمت إلى طعاما ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم، ثم قدمت إلى زبيبا ثم قلت: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قلت: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر، فاستلقيت ثم تلوت: ﴿... عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۚ﴾ [الأعراف] فقد والله أهلك الله عدوك واستخلفك في الأرض فانظر ماذا تعمل؟ قال: يا عبد الرحمن إنا لا نجد الأعوان؟ قلت: يا أمير المؤمنين السلطان سوق نافق، لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك! قال: فكأنى ألقمته حجرا فلم يرد على شيئا . .

13 - عن حذيفة رضي الله عنه قال: ما بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال رجل: فأين الذين يبعقون⁽¹⁾ لقاحنا وينقبون بيوتنا؟ فقال: أولئك هم الفاسقون، إن للفتنة بعثات ووقفات فمن استطاع أن يموت في وقفاتها فليفعل . .

(1) يبعقون لقاحنا: أى شقتا بطونها.

14 - أنبأنا المسعودي عن عون قال: إن الحلم والحياء وعى اللسان لا عى القلب والفقہ من الإيمان، وهن مما ينقصن من الدنيا ويزدن فى الآخرة، وما يزدن فى الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا، ألا وإن البذاء والجفاء والبيان من النفاق، وهن مما يزدن فى الدنيا وينقصن من الآخرة، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن فى الدنيا. .

15 - عن عروة بن الزبير: أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام نحن نعلم أن الحق غيره فنصدقهم، ويقضون بالجور فنقويهم ونحسنه لهم، فكيف ترى فى ذلك؟ قال: يا ابن أخى كنا مع رسول الله ﷺ نعد هذا النفاق، فلا أدرى كيف عندكم. .

16 - حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه: عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه رأى الناس يدخلون المسجد فقال: من أين جاء هؤلاء؟ قالوا: من عند الأمير.

فقال: إن رأوا منكرا أنكروه وإن رأوا معروفا أمروا به؟ فقالوا: لا.

قال: فما يصنعون؟

قالوا: يمدحونه ويسبونه إذا خرجوا من عنده.

فقال ابن عمر: إنا كنا لنعد النفاق على عهد رسول الله ﷺ فيما دون هذا!! رواية ثقات لكنه ليس بمتصل ما أظن أبا حازم سمعه من ابن عمر. .

17 - قال عمر بن صالح: قال لى أبو عبد الله: يا أبا حفص يأتى على الناس زمان المؤمن بينهم مثل الجيفة! ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع!! فقلت: وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟

قال: صيروا أمر الله عز وجل فضولا.

وقال: المؤمن إذا رأى أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، لم يصبر حتى يأمر وينهى. والمنافق كل شيء يراه قال بيده على أنفه، فيقال: نعم الرجل ليس بينه وبين الفضول عمل! وسمعت أحمد بن حنبل رحمته الله يقول: إذا رأيتم اليوم شيئا مستويا فتعجبوا!!

18 - وفي حديث الحسن: إن من النفاق اختلاف المدخل والمخرج. أى سوء الطريق والسيرة..

19 - قال عمر رحمته الله: فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا لساعة كذا وكذا ألا يدعو الله فيها أحد إلا استجيب له، فقال له قائل: أرايت إن دعا فيها منافق؟ قال: فإن المنافق لا يوفق لتلك الساعة..

20 - قال مقاتل: مثل المنافق الذى تكلم بكلمة الإيمان مرثيا للناس، كان له نور يمشى فى ضوءها ما دامت تتقد ناره، فإذا ترك الإيمان صار فى ظلمة كمن أطفئت ناره فقام لا يهتدى ولا يبصر، ثم قال: ذهب الله بنورهم أى بإيمانهم الذى تكلموا به وتركهم فى ظلمات لا يبصرون الهدى.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافق الذى تكلم بكلمة الإيمان ظاهراً فناكح ووارث بها وحقن بها دمه وماله، فلما كان عند الموت ولم يك مصدقا بها سلبت عنه فترك فى كرب وظلمة.

وقال مجاهد: للمنافق قلبه متحدر لا يستقر فيه شيء، كلما برق فيه نور الحق خرج من الجانب الآخر. فقلبه كنفق اليربوع يدخل من باب ويخرج من باب..

- وقيل: مثل المنافقين بتكذيب القرآن كمثل مطر نزل من السماء ليلا وفيه البرق والرعد وفيه ظلمات، فمثل المطر مثل القرآن كما أن فى المطر حياة كذلك

فى القرآن حياة لمن آمن به؁ وحياة الآخرة بالإيمان؁ ومثل البرق مثل الإيمان وهو النور الذى فى القرآن؁ يهتدى الناس ببيان القرآن كما يهتدى الناس فى مثل تلك الليلة بالبرق؁ ومثل الرعد ما خوفوا به من الوعيد؁ ومثل الظلمات مثل الكفر مثل آخر قوله: ﴿... يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ...﴾ (١٦) [البقرة] أى من خوف الصوت من شدة الرعد؁ هكذا مثل المنافق إذا سمع قراءة القرآن يجعل إصبعيه فى أذنيه ولا يسمع إلى صوت النبى؁ مخافة أن يتعظ به وتدخل حلاوة قراءته فى قلبه..

21 - قال معاذ للحارث: اسمع منى فإنى أوصيك بوصية؁ أحذرك ذلة العالم وجدال المنافق؁ واحذر طلبة القرآن..

- لما دخل عمر الشام؁ حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: إن رسول الله ﷺ قام فىنا خطيبا كقيامى فىكم؁ فأمر بتقوى الله وصلة الرحم وصلاح ذات البين؁ وقال: عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد؁ لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما؁ ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو أمارة المسلم المؤمن؁ وأمارة المنافق الذى لا تسوؤه سيئته ولا تسره حسنته. إن عمل خيرا لم يرج من الله فى ذلك ثوبا؁ وإن عمل شرا لم يخف من الله فى ذلك سوء عقوبة؁ وأجملوا فى طلب الدنيا؁ فإن الله قد تكفل بأرزاقكم؁ وكلٌ سيِّبٌ له عمله الذى كان عاملا؁ استعينوا الله على أعمالكم فإنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب..

22 - وقيل: الكذب جماع النفاق. وقيل: الكذب عار لازم وذل دائم. وقيل: الكذب والحسد والنفاق أثافى.

قال الشاعر:

لا يكذب المرءُ إلا من مهاتتهِ أو عادةِ السوءِ أو من قلةِ الورعِ

23 - وقيل : كفر النفاق [وهو أن] يقر [المنافق] بلسانه ، ويكفر بقلبه . .

24 - وقيل : حقيقة النفاق اختلاف السر والعلانية ، واختلاف القول

والعمل .

- قال الأحنف : إن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها .

- وقال صالح بن عبد القدوس :

قلْ لِلَّذِي لَسْتُ أُدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صِحُّ أُمٍّ عَلَى غَشٍّ يُدَاجِينِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سَمَتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشَجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَدْمَنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ مَنْكَ يَأْتِينِي

- وقيل في النهي عن الاستعانة بخائن : من استرعى الذئب ظلم .

- قال شاعر :

إِن الْعَفِيفَ إِذَا اسْتَعَانَ بِخَائِنٍ كَانَ الْعَفِيفُ شَرِيكَهُ فِي الْمَائِمِ

- وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخَوَّونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مَسْنَدِ

- ولآخر : إن العفيف إذا تكفّفه الظنين هو الظنين .

- وقيل : من تتهمه فلا تأتمنه . ومن تأتمنه فلا تتهمه .

- وقيل : عذر من استعان بخائن سهوا .

25 - وأنشد محمود الوراق :

أَصْدَقُ حَدِيثِكَ إِنْ فِي الصِّدْقِ الْخُصْلَاصُ مِنَ الدَّنَسِ
وَدَعِ الْكَذُوبَ لَشَأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ الْخَرَسِ

- وقال آخر:

ما أقبح الكذب المذمومَ صاحبهُ وأحسن الصدقَ عند الله والناس
- وقال بعض الحكماء: من عرف بالصدق جاز كذبه. ومن عرف بالكذب
لم يجز صدقه.

- وقالوا: الصدق عز والكذب خضوع..

- وقال منصور الفقيه:

الصدق أولى ما به دان امرؤ فاجعله ديناً
ودع النفاق فما رأيت منافقاً إلا مهيناً
- وقال الحسن البصري: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه. ولا
يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه..

26 - قال أبو تمام:

هذا النبيُّ وكان صفوةَ ربِّه من بين باد في الأنام وقارِ
قد خصَّ من أهل النِّفاقِ عصابةً وهم أشدُّ أدى من الكُفَّارِ
واختارَ من سَعْدِ لَعِينِ بنى أبى سَرَحٍ لَوْحِي اللهُ غيرَ خيارِ
- وسئل خالد بن صفوان عما يجب للإخوان؟ فقال: تجنب طريق النفاق
ولا تقصر عن الاستحقاق.

- قال إبراهيم بن عباس:

خل النفاق لأهله وعليك فانتهج الطريقة
واذهب بنفسك أن ترى إلا عدواً أو صديقاً

- قال الصابئ:

أيا رب كلُّ الناسِ أولادُ علةٍ أما تغلط الدنيا لنا بصديق
وجوهُ بها من مضمِرِ الغلِّ شاهدٌ ذواتُ أديمٍ فى النفاقِ صفيق
- وقال الحجاج فى أهل العراق: أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق.

ثلاث من الدين مارق. وثلاث منافق. وثلاث سارق! والله لو عاديتهمنى لما
ضررتهمنى وما مثلى ومثلهم إلا كما قيل:

فرأيك لو أبغضتني ما ضررتني ولو رمت نفعاً ما وسعت لذلك
- وقال وكيع: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: إمام مقسط. وذو شبيهة فى
الإسلام. وذو علم..

27 - وفى المثل: سبح يغتروا. أى أكثر من التسيب يغتروا بك فيشقوا
فتخونهم وهو يضرب لمن نافق..

28 - وفى حديث أبى أيوب: قال لبعض المنافقين وقد دخل المسجد:
أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله ﷺ ، أى اخرج من المسجد وخذ طريقك
الذى جئت منه، يقال: رجع أدراجه، أى عاد من حيث جاء..

- وقيل: إن عمر رضي الله عنه أراد أن يصلى على ميت، فمرزه حذيفة أى قرصه
بأصابعه لا يصلى عليه، قيل: كان ذلك الميت منافقا وكان حذيفة يعرف المنافقين.
يقال: مرزت الرجل مرزا إذا قرصته بأطراف أصابعك..

29 - وروى أن عمر كان لا يصلى على ميت، يخشى أن يكون من المنافقين
حتى يصلى عليه حذيفة بن اليمان العيسى، صاحب السر المكنون فى تمييز
المنافقين..

30 - وقيل: إن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين..

31 - عن أبي قلابة قال: ينادى مناد يوم القيامة من قبل العرش: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس] قال: فلا يبقى أحد إلا رفع رأسه فيقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس] فلا يبقى منافق إلا نكس رأسه . .

- عن زياد بن جرير قال: أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا زياد أفنى هدم أنتم أم فى بناء؟ قلت: لا بل فى بناء. فقال عمر: أما إن الزمان ينهدم بزلة عالم. وجدال منافق. أو أئمة مضلين!!

32 - وقال الأحنف: كثرة الخصومة تنبت النفاق فى القلب . .

- وعن عبادة بن نسي قال: أول النفاق الطعن على الأئمة . .

33 - وفى حديث حذيفة أنه قال: القلوب أربعة: فقلب أغلف. فذلك قلب الكافر. وقلب منكوس. فذلك قلب رجع إلى الكفر بعد الإيمان. وقلب أجرد مثل السراج يزهر. فذلك قلب المؤمن. وقلب مصفح⁽¹⁾ اجتمع فيه النفاق والإيمان فمثل الإيمان فيه كمثّل شجرة يمدّها الماء العذب الطيب. ومثّل النفاق فيه كمثّل قرحة يمدّها القيح والدم. وهو لأيهما غلب عليه غلب!!

- قال أبو الشعثاء المحاربى: سمعت حذيفة رضي الله عنه يقول: ذهب النفاق فلا نفاق إنما هو الكفر بعد الإيمان!

- عن جابر بن عبد الله أنه قيل له: هل كنتم تسمون شيئاً من الذنوب، الكفر أو الشرك أو النفاق؟ فقال: معاذ الله، ولكننا كنا نقول: مؤمنين مذنبين . .

- عن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق. والمؤمن يغبط ولا يحسد. والمنافق يحسد ولا يغبط. والمؤمن يستر ويعظ وينصح. والفاجر يهتك ويعير ويفشى . .

(1) المصفح: الذى له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه وأهل الإيمان بوجه وصفح كل شىء وجهه وناحيته.

- عن محمد بن على قال: إياكم والخصومة فإنها تفسد القلب وتورث النفاق..

- عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما خصلة تكون في المؤمن بعد الكفر بالله أشد من الكذب وهو أشد النفاق..

34 - عن أبي يحيى قال: سأل رجل حذيفة وأنا عنده فقال: ما النفاق؟

قال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به..

- عن أسلم أبي عمران قال: سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: ليأتين على الرجل أحايين وما في جلده موضع إبرة من النفاق! وإنه ليأتي عليه أحايين وما فيه موضع إبرة من إيمان!! رواه بنحوه ابن وهب عن حيوة بن شريح..

- عن أبو نعيم: دخل الثوري يوم الجمعة من الباب القبلي [للمسجد]، فإذا الحسن بن صالح يصلي، فقال: نعوذ بالله من خشوع النفاق، وأخذ نعليه فتحول إلى سارية أخرى..

- عن سفيان قال: خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث.

يقولون: الإيمان قول ولا عمل. ونقول: قول وعمل.

ونقول: إنه يزيد وينقص. وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص.

ونحن نقول: النفاق. وهم يقولون: لا نفاق..

35 - وعن محمد بن سعد الأنصاري: عن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق. قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع. رواه الإمام أحمد..

36 - وقيل: التملق مزراب النفاق..

37 - قال شاعر:

عذبت في النفاق ألسنة القوم وفي الألسن العذاب العذابُ

38 - وقيل: النفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب..

39 - وفي حديث عمر: أنه هبر المنافق حتى برد. والهبر الضرب والقطع..

- قال ابن عمر: مثل المنافق كالشاة الياصرة بين الغنمين..

40 - وقيل في الأمثال: خالص المؤمن، وخالق الفاجر. أى لتخلص مودتك للمؤمن، فأما المنافق والفاجر فجاملهما ولا تهضم دينك..

41 - وقيل: خذ الحكمة أنى أتتك، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجج في صدره حتى تخرج، فتسكن إلى صاحبها..

42 - وقيل: مثل المنافق القارئ للقرآن، كمثّل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن، كمثّل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها..

- وقيل: مثل المنافق مثل رجل فى نهر يسبح فيه، فلما بلغ أن يقطعه نودى من الجانب الآخر فرجع إلى ذلك الصوت، ثم نودى من هاهنا، فأجاب، ثم رجع فبينما هو فى ترده إذ علا الموج فغرقه..

43 - وقيل: دعوى المحبة ابتداء الغريب المنافق، الذى يظهر خلاف ما يعتقد. المعنى يقول: يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويظهر بها من لا يلتزمها، ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه..

44 - قال بعضهم: الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق.

- قال بشار:

يخونك ذو القربى مرارا وربما وفى لك عند الجهل من لا تقاربه

45 - وقال ابن الدنيا: أنبانا إسحاق بن إبراهيم: سمعت حماد بن زيد يذكر عن الحسن قال: المؤمن فى الدنيا كالغريب، لا ينافس فى غيرها ولا يجزع من ذلها، للناس حال وله حال، الناس منه فى راحة ونفسه منه فى شغل، وقال: لولا البلاء ما كان فى أيام قلائل ما يهلك المرء نفسه، وقال: أدركت صدر هذه الأمة وخيارها وطال عمرى فيهم، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم لله عليكم! أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنة نبيهم، ما طوى أحدهم ثوبا ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا، ولا أمر أهله بصنع طعام، كان أحدهم يدخل منزله فإن قرب إليه شيء أكل وإلا سكت فلا يتكلم فى ذلك، وقال: إن المنافق إذا صلى، صلى رياء أو حياء من الناس أو خوفا، وإن فاتته الصلاة لم يندم عليها ولم يحزنه فواتها..

- وسئل وهب: عن رجلين يصليان أحدهما أطول قنوتا وصمتا، والآخر أطول سجودا فأيهما أفضل؟ فقال: أنصحهما لله عز وجل. وقال: من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم. أى يحب أن يحمد على ما لم يفعل، ويكره أن يذم بما فيه..

46 - قال بلال بن سعد: المنافق يقول ما يعرف، ويعمل ما ينكر..

- وفد أبو موسى مع أهل البصرة، وفيهم الأحنف بن قيس إلى عمر بن الخطاب فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم فى خاصة نفسه، وكان الأحنف فى آخر القوم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه، وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه فى الأنهار العذبة

والجنان المخضبة وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلى⁽¹⁾ تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ. وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة نشاشة، لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها طرفها في بحر أجاج والطرف الآخر في الفلاة، لا يأتينا شيء إلا في مثل مريء النعامة، فارفع خسيستنا وانعش وكيستنا⁽²⁾ وزد في عيالنا وفي رجالنا رجالا وضع درهمنا وأكثر فقيرنا ومر لنا بنهر نستعذب منه الماء.

فقال عمر: عجزتم أن تكونوا مثل هذا؟ هذا والله السيد. وكان أبو موسى حين قدم على عمر فسأله عما كان رفع إليه من أمره، وأحب أن يبحث عنه، فقام الأحنف بن قيس وكان من أشبههم فقال: يا أمير المؤمنين، صاحبك مع رسول الله ﷺ في مواطن الحق وعاملك لم ير منه إلا خيرا، وإنا أناس بين سبخة وبين بحر أجاج لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعامة، فأعد لنا فقيرنا ودرهمنا. فأعجب منه ذلك عمر، وأعرض عنه لحداثة سنه فقال له: اجلس يا أحنف، وكان برجله حنف، فلذلك سماه الأحنف، فغلب لقبه على اسمه، وكانت أمه تهدهده في صغره وهي تقول:

والله لولا حنفٌ برجله لم يكن في الحى غلامٌ مثله

فعرض عمر على الأحنف الجائزة، فقال: يا أمير المؤمنين والله ما قطعنا الفلوات ودأبنا الروحات العشيات للجوائز، وما حاجتي إلا حاجة من خلفت، فرد عمر أبا موسى ومن معه وأجلس الأحنف عنده سنة، وجعل عليه عيونا فلم يسمع إلا خيرا، فدعا به فقال: يا أحنف إنك قد أعجبتني وإنما حبستك لأعلم عليك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: احذروا المنافق العالم. وأشفقت عليك منه، فوجدتك بريئا مما تخوفت عليك، فسرحه وأحسن جائزته، ثم قدم على أبي

(1) الحُوار: ولد الناقة. قال أبو زيد: السَلَى لِفَافَةُ الْوَكْدِ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْإِبِلِ وَهُوَ مِنَ النَّاسِ الْمَشِيمَةُ.

(2) الْحَسِيستَه: الدنيئة. الْوَكْسُ: النقص والوكْسُ: اتِّضاع الثمن في البيع.

موسى فعرف ما كان منه إليه، فلم يزل للأحنف شرف يعرف حتى خرج من الدنيا . .

- عن ابن كلثوم قال: سمعت عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي يقول: إن المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل. وإن المنافق يكثر الكلام ويقل العمل . .

- عن يزيد بن عميرة، وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: كان معاذ لا يجلس مجلسا للذكر إلا قال حين يجلس: الله حكم قسط تبارك اسمه هلك المرتابون. وقال معاذ يوما: إن وراءكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والمرأة والصغير والكبير والحر والعبد. فيوشك قائل يقول: ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره! فإياكم وما يبتدع فإن ما ابتدع ضلالة.

وأحذركم زيغة الحكيم. فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم! وقد يقول المنافق كلمة الحق!!

قال: قلت لمعاذ: ما يدرينى رحمكم الله إن الحكيم يقول كلمة الضلالة وأن المنافق يقول كلمة الحق؟

فقال: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات، التى يقال: ما هذه، ولا يشك ذلك عنه فإنه لعله يرجع ويتبع الحق إذا سمعه، فإن على الحق نورا.

فلبث ما شاء الله ثم قدمت الكوفة، فطفق قراء من أهل الكوفة يقولون: يا أبا أهل الشام أتشهد أنك مؤمن؟ فأقول: نعم. فيقولون: أتشهد أنك فى الجنة؟ فأقول: لا. فبلغ الأمر عبدالله بن مسعود. فمررت به فى المسجد فقالوا: هذا الشامى الذى ذكرنا. فأرسل إلى ابن مسعود فقال: أتشهد أنك مؤمن؟ فقلت: نعم. قال: فتشهد أنك من أهل الجنة؟ فقلت: إنى أخاف الذنوب. قال: فتبسم عبدالله بن مسعود ثم قال: لو شهدت أنى مؤمن ما باليت أن أشهد أنى فى الجنة.

قال: قلت: يغفر الله لك هذا ما كان معاذ يحذرنا من أمثالك! قال: وما حذرکم معاذ؟ قلت: حذرنا زيغة⁽¹⁾ الحكيم، وقال: إن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على فم الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. ثم قال له: ما أنت إلا أحد الثلاثة: مؤمن. أو كافر. أو منافق. ثم قال: يرحم الله معاذ بن جبل..

- قال بلال بن سعد السكوني: إن المؤمن ليقول قولاً فلا يدعه الله وقوله حتى ينظر في عمله، فإن كان عمله موافقاً لقوله لم يدعه حتى ينظر ما نوى به، فإن سلمت له النية فبالحرى أن يسلم له سائر ذلك، إن المؤمن ليقول قولاً يوافق قوله عمله، وإن المنافق ليقول بما يعلم ويعمل بما ينكر..

- قال العباس بن الوليد: سمعت أبي يقول: سمعت الأوزاعي يقول: إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وإن المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً..

- قال الفضيل: من ازداد علمه فليزدد شكراً، إن المنافق كلما ازداد علماً ازداد عمية..

- عن إبراهيم بن أدهم قال: إن الحكمة لتكون في جوف المنافق فما تزال تجلجل في جوفه حتى يخرجها، فيتلقاها المؤمن فيعمل بها..

47 - عن أبي عبيدة الناجي عن الحسن قال: يا ابن آدم إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في هلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم، قد رأينا أقواماً آثروا عاجلتهم على عاقبتهم فذلوا وهلكوا وافتضحوا. يا ابن آدم إنما الحكم حكمان: فمن حكم بحكم الله فإمام عدل، ومن حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية.

وإنما الناس ثلاثة: مؤمن. وكافر. ومنافق. فأما المؤمن: فعامل الله بطاعته وأما الكافر فقد أذله الله كما قد رأيتم. وأما المنافق فهأنا معنا في الحجر والطرق

(1) الزَّيْغُ: الْمِيلُ.

والأسواق نعوذ بالله . والله ما عرفوا ربهم اعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة .
وإن المؤمن لا يصبح إلا خائفا وإن كان محسنا ، لا يصلحه إلا ذلك ، ولا يسمى
إلا خائفا وإن كان محسنا لأنه بين مخافتين ، بين ذنب قد مضى لا يدري ماذا
يصنع الله تعالى فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من الهلكات . إن
المؤمنين شهود الله فى الأرض ، يعرضون أعمال بنى آدم على كتاب الله ، فمن
وافق كتاب الله حمد الله عليه ، وما خالف كتاب الله عرفوا أنه مخالف لكتاب
الله . وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل من الخلق . .

- عن أبى يحيى قال : قيل لحذيفة : من المنافق؟ قال : الذى يصف الإسلام
ولا يعمل به . .

- وقال مالك بن دينار : تلقى المؤمن شاحبا وتلقى المنافق وباصا⁽¹⁾ . .

- وعن مالك بن دينار أيضا قال : قرأت فى الزبور : بكبرياء المنافق يحترق
المسكين . وقرأت فى الزبور : أنى لأنتقم من المنافق بالمنافق ثم أنتقم من المنافقين
جميعا . ونظير ذلك فى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ نُكَلِّمُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام] .

- حدثنا عمرو بن مالك فقال : سمعت أبا الجوزاء يقول : نقل الحجارة أهون
على المنافق من قراءة القرآن ! أسند أبو الجوزاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها
وعن عبدالله بن عباس والجماعة . .

- وعن عبيد الله بن شميطة قال : سمعت أبى يقول : كان يقال : علامة
المنافق قلة ذكر الله عز وجل .

وقال : سمعت عبادا يسأل شميطة : هل يبكى المنافق؟ فقال : يبكى من رأسه
فأما قلبه فلا . .

(1) وبّاصًا : أى برّاقًا .

- حدثنا شعبة عن عوف عن وهب قال: من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم . .

- حدثنا حاتم قال: سمعت شقيقا يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن يحمل شوكا! ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكا وهو يطمع أن يحصد تمرا! هيهات هيهات. كل من عمل حسنا فإن الله لا يجزيه إلا حسنا، ولا تنزل الأبرار منازل الفجار. وقال: ولو أن رجلا كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان: حتى يكون قلبه فارغا للتفكر وعينه فارغة للعب. المؤمن مشغول بخصلتين. والمنافق مشغول بخصلتين. المؤمن بالعب والتفكر والمنافق مشغول بالحرص والأمل . .

- قال حامد: سمعت حاتما يقول: لكل قول صدق، ولكل صدق فعل، ولكل فعل صبر، ولكل حسنة إرادة، ولكل إرادة أثر. أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والحساب. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر والحرص والحسد. المنافق: ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص. ويمنع بالشك. وينفق بالرياء. والمؤمن: يأخذ بالخوف. ويمسك بالسنة. وينفق لله خالصا في الطاعة . .

48 - وقيل: إن المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه، من غير الوجه الذي دخل فيه . .

49 - عن أبي مليكة الزماري قال: إن الرجل ليدخل على الإمام فما يخرج إلا مشركا أو منافقا! إن أعطاه حمده، وإن منعه خرج يذمه ويعيبه، فإذا فعل هذا بالإمام فقد نافق وأشرك، وإنما يمنع ويعطى الله عز وجل . .

50 - قال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: خلف الوعد ثلث النفاق . .

51 - وقال وهب: من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم . .

52 - عن الحسن قال: مر بالمعروف وانه عن المنكر ما لم يكن مع المنافق سيف وسوط. فإذا كان معه سيف وسوط فليكنف! لا يضرکم من ضل إذا اهتديتم.

- قال النعمان بن عبد السلام:

إِنَّ الْمُنَافِقَ مَعْلُومٌ سَجِيَّتُهُ هَمَزٌ وَلَزُؤٌ وَإِيمَاءٌ وَإِغْمَاضٌ

53 - وقال إسحاق بن سويد:

إِنَّ الْمُنَافِقَ لَا تَصِفُو خَلِيقَتَهُ فِيهِ مَعَ الْهَيْتْرِ إِيْمَاضٌ وَإِعْيَاءٌ⁽¹⁾

- قال الفضيل: من ازداد علمه فليزدد شكرا. إن المنافق كلما ازداد علما ازداد عمی . .

54 - وفي الأمثال: خالص المؤمن وخالق الفاجر. أى لتخلص مودتك للمؤمن فأما المنافق والفاجر فجاملهما ولا تهضم دينك. وهذا قريب مما قاله: صعصعة ابن صوحان لأخيه زيد بن صوحان، إذا لقيت المؤمن فخالصه⁽²⁾ . .

55 - وقيل: الكافر هو الذى كفر فى السر والإعلان. والمنافق الذى كفر فى السر وآمن فى الإعلان! وآمن بلسانه وكفر بقلبه . .

56 - وقيل: الناس ثلاثة: مؤمن وكافر ومنافق.

فأما المؤمن فقد لجمه الخوف وقومه ذكر العرض.

وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأذعن بالجزية وسمح بالضريبة.

وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما

(1) الهَيْتْر: العجب والداهية. يضرب للرجل الداهى المنكر. الإِيْمَاضُ: التَّبَسُّمُ. الإِعْيَاءُ: التعب والكلال.

(2) الخالص: من الغلّ وكل شئ خلص فقد نصح أى أخلص النية لكم من شوائب الفساد.

يظهرون. فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة! ويلك قتلت وليه، ثم تتمنى عليه جنته!!

57 - جاء فى الأمثال: يقول العامة: ليل كقلب المنافق. أى شديد السواد..

58 - وقال بعضهم: الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق..

59 - وقالوا: البذاء من النفاق..

60 - وفى حديث الحسن: إن من النفاق اختلاف المدخل ووز⁽¹⁾ المخرج. أى سوء الطريق والسيرة..

- وقيل: المذال من النفاق. وهو أن يَقْلَقَ الرجلُ بِفِرَاشِهِ الذى يُضَاجِعُ فيه حَلِيلَتَهُ، وَيَتَحَوَّلُ عنه حتى يَفْتَرِشَهَا غيره!! وقيل: هو أن يدخل الرجل الرجل على أهله ثم يخليهم يماذى بعضهم بعضا. يقال: أمذى الرجل وماذى، إذا قاد على أهله!

61 - قال أبو حاتم: التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان، والعاقل يحسن الظن بإخوانه وينفرد بغمومه وأحزانه. كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ولا يفكر فى جنائياته وأشجانه..

62 - وقيل: من النفاق وعلامات أصدقاء السوء، أن تعد أخاك وعدا ثم تخلفه..

- وقيل: ولا تمدح سلعتك وتدم سلعة أخيك، فإن ذلك نوع من النفاق والذم..

63 - وقال ابن زيد: من ظلم وأقام على النفاق فيجهر له بالسوء حتى ينزع..

(1) الوزوذة: الخفّة والطّيشُ.

64 - عن وهب بن منبه قال: المنافق يحب الحمد ويكره الذم . .

65 - من كلام ابن المعتز بالله في الآداب والمواعظ والحكم: علم المنافق في قوله وعلم المؤمن في عمله . .

- قال أبو محمد الحنفى:

ما بال قلبى لا يفىقُ لدائه كم ذا التمدادى منه فى عميائه
يصف الرشاد ولا يصيخُ لمرشد ويظل يخبط فى دجى ظلماته
حسبُ المنافق أن يكونَ مخالفا فى فعله عن قوله بريائه
ما عذر من قطع الزمانَ مشرقا فى طاعة الرحمن يوم لقائه

66 - عن عبيد الله بن شميظ بن عجلان قال: سمعت أبا يقول: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: ألا ترى إلى المنافق كيف يخادعنى وأنا أخدعه، يسبحنى بطرف لسانه وقلبه بعيد منى، يا داود قل للملأ من بنى إسرائيل: لا يدعونى والخطايا بين أضبانهم، ليلقوها ثم يدعونى أستجب لهم . .

- عن الحسين بن أبى جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لا يصطلح المؤمن والمنافق حتى يصطلح الذئب والحمل!

- عن سيار قال: حدثنا عبيد الله بن شميظ قال: سمعت أبا يقول: كان يقال: علامة المنافق قلة ذكر الله عز وجل . .

- عن مكحول قال: لا تعاهدوا السفیه ولا المنافق فما نقضوا من عهد الله أكبر من عهدكم . .

67 - عن عبيد الله بن شميظ بن عجلان عن أبيه أنه كان يقول في مواعظه: إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم، فأرغموا أنفسهم كثيرا فى رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا. وإن المنافق عبد هواه وعبد بطنه وعبد فرجه وعبد جلده، عبد الدنيا وعبد أهل الدنيا . .

- عن أبى الحسين الفارسى قال: سمعت محمد بن على الترمذى يقول:
المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه، والمنافق حزنه فى وجهه و بشره فى قلبه . .
68 - وبإسناده قال حاتم: المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ويمنع
بالشك وينفق بالرياء. والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة وينفق لله خالصا فى
الطاعة . .

69 - قال أبو عبيد: سمي المنافق منافقا، للنفاق وهو السرب فى الأرض.
وقيل: إنما سمي منافقا لأنه نافع كاليربوع وهو دخوله نافعا، يقال: قد نفع به
ونافق، وله جحر آخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء
فهو يدخل فى النافعاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل فى القاصعاء ويخرج من
النافعاء، فيقال: هكذا يفعل المنافق، يدخل فى الإسلام ثم يخرج منه من غير
الوجه الذى دخل فيه . .

70 - وفى الحديث: المنافق يكبن فى هذه مرة وفى هذه مرة، أى يعدو.
ويقال: كبن يكبن كبونا إذا عدا عدوا لنا كبه . .

71 - قال الحرالى: المنافق من يضم الكفر اعتقادا ويظهر الإيمان قولاً . .

72 - وقيل: مثل المؤمن والكافر والمنافق: مثل ثلاثة نفر أتوا نهرا عظيما فى
مفازة، فوقع واحد منهم فى النهر فسبح سبحا وخرج. ووقع الثانى فكلما كاد أن
يصل إلى شط النهر، ناداه الثالث الذى لم يدخل بعد فى النهر أن يا فلان هلم
إلى إلى فإن الطريق مخوف فتهلك، ارجع إلى فإنى أعلم بطريق آخر يعبر
بالسلامة على القنطرة، والذى خرج يناديه أن إلى إلى فإن الطريق آمن وعندى من
النعيم ما لا يوصف، فما زال يذهب إلى هذا وإلى ذاك حتى يغرق فى الماء
ويهلك. قال قتادة: فالأول الذى عبر مؤمن مخلص، و الذى لم يعبر بعد كافر،
والذى دخل منافق. يدعووه المسلم من ورائه، والكافر يدعو من خلفه وهو متردد

متذبذب حتى يأتيه الموت فيموت منافقا، فيبقى في قعر جهنم في أسفل السافلين .
ومصدق هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ ﴾ [النساء].

73 - قال ابن مسعود: [للمنافقين] تواييت من حديد مقفلة في النار تقفل عليهم . وقال ابن عمر: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون . تصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ وقال تعالى في أصحاب المائدة: ﴿ ... فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝١١٥ ﴾ [المائدة] وقال في آل فرعون: ﴿ ... أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝١٢٤ ﴾ [غافر] استثناء ممن نافق، وإن شرط التائب من النفاق أن يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله، أى يجعله ملجأ ومعاذا، ويخلص دينه لله كما نصت عليه هذه الآية، وإلا فليس بتائب، ولهذا أوقع أجر المؤمنين في التسويف لانضمام المنافقين إليهم والله أعلم .

- روى البخارى عن الأسود قال: كنا في حلقة عبدالله: فجاء حذيفة حتى قام ثم قال: لقد نزل النفاق على قوم خير منكم؟ قال الأسود: سبحان الله إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... ۝١٤٥ ﴾ [النساء] فتبسم عبدالله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبدالله فتفرق أصحابه، فرماني حذيفة بحصى فأتيته فقال: عجبت من ضحكك وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيرا منكم ثم تابوا فتاب الله عليهم: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦ ﴾ [النساء] وقال الفراء: (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) أى من المؤمنين . وقال القتبى: حاد عن كلامهم غضبا عليهم، فقال: (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) ولم يقل هم المؤمنون . .

74 - عن الحسن قال: المنافق يعبد هواه لا يهوى شيئا إلا ركبه . .

75 - وقيل: ليل كقلب المنافق أو الكافر: لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكارة توصف بالسواد، فيقال: اسود النهار في عيني وأظلمت الدنيا علي. جعل يوم النوى⁽¹⁾ كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام، فشبه به ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفاً وإتماماً للصفة، وذلك أن الغزل يدعى القسوة على من لم يعرف العشق، والقلب القاسى يوصف بشدة السواد، فصار هذا القلب عنده أصلاً في الكدرة والسواد، فقاس عليه..

76 - حدثنا أبو عثمان صاحب الرقيق فقال: سئل الحسن عن النفاق، فقال: لو رفعوا عنكم لاستوحشتم، نافق هؤلاء بالتكذيب، ونافق هؤلاء بالعمل..

77 - ذكر في الإخبار: بأن المرء المسلم ينفعه إخلاصه حتى يحبط ما كان قبل الإسلام من السيئة، وأن المنافق لا تنفعه الأعمال الصالحة..

78 - عن أنس بن مالك: الكذب باب من النفاق، ولا يكون العبد منافقاً حتى يكون جدلاً خصماً، فإذا كان جدلاً خصماً تم نفاقه..

79 - وقيل: المنافق لا يصلى الضحى ولا يقرأ: قل يا أيها الكافرون، أى سورتها، أى علامته أنه لا يفعلهما، فإذا وجد من هو متماد على تركهما أشعر بنفاق فى قلبه. ولعل هذا خرج مخرج الزجر والتهويل عن تركهما والحث على فعلهما فلا يحكم فى ظاهر الشرع على تاركهما بأحكام المنافقين الذين هم فى الدرك الأسفل، نعم إن أهملهما استخفافاً بأمر الشارع فهو منافق حقيقة.

- قال الزمخشري: والمنافقون أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى.

- وقال مالك بن دينار: قرأت فى التوراة، إن الرجل إذا استكمل النفاق ملك عينيه ومن ثم قيل: دمع الفاجر حاضر [إن] المنافق يملك عينيه أى دمعهما

(1) النوى: نوى الفراق.

يبكى كما يشاء، لأنه أبدا ذو لونين باطن وظاهر. ويقين وشك. ودهاء ومكر. وزهادة ورغبة. وبذل وحرص. وإخلاص ورياء. وصدق وكذب. وصبر وجزع. وجود وبخل. وسعة وضيق، وذا لا يكون إلا فى قلب للنفس عليه شعبة من الشيطان. وإنما سمى نفاقاً لأنه يدخل عليه الأمر من باين، من باب الله ومن باب النفس والشيطان، فيخلط عليه الحال، ويساعده الشيطان بإرسال الدمع متى شاء..

80 - قال على بن عثام: بكى سفيان يوماً ثم قال: بلغنى أن العبد أو الرجل إذا كمل نفاقه ملك عينيه فبكى..

- عن الحسن قال: إن هذا الحق جهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته، إن من الناس ناساً قرءوا القرآن لا يعلمون سنته، وإن أحق الناس بهذا القرآن من اتبعه بعمله وإن كانوا لا يقرءوه، إنك لتعرف الناس ما كانوا فى عافية، فإذا نزل بلاء صار الناس إلى حقائقهم، صار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه..

81 - وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل، معنى كلهم يخاف النفاق، أى حصول النفاق فى الخاتمة على نفسه إذ الخوف إنما يكون عن أمر فى الاستقبال، وما منهم من أحد يجزم بعدم عروض النفاق، وأنهم كلهم كانوا على حذر وخوف من أن يخالط إيمانهم النفاق، ومع هذا لم يكن منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل ﷺ. لأن جبريل معصوم لا يطرأ عليه الخوف من النفاق، بخلاف هؤلاء فإنهم غير معصومين..

- وعن الحسن البصرى: ما خاف الله تعالى إلا مؤمن، ولا آمن الله تعالى إلا منافق..

82 - وعن المعلى بن زياد قال: سمعت الحسن يحلف فى هذا المسجد بالله الذى لا إله إلا هو، ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق مشفق. ولا

مضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن . وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق . .

83 - وعن محمد بن سليمان قال: سأل أبان الحسن فقال: تخاف النفاق؟ قال: وما يؤمننى وقد خافه عمر بن الخطاب رضى الله عنه . .

84 - قال عباس بن يوسف: إذا رأيت الرجل مشغلا بالله عز وجل فلا تسأل عن إيمانه . وإذا رأيته مشغلا عن الله عز وجل فلا تسل عن نفاقه . .

85 - قال أبو هريرة: إذا كان يوم القيامة يقرأ الله القرآن، فكأنهم لم يسمعه فيحفظه المؤمنون، وينساه المنافقون وكأنهم لم يسمعه . .

86 - قال الأحنف بن قيس: إذا بصبص⁽¹⁾ الكلب لك فثق بود منه، ولا تثق ببصابص الناس! فرب مبصص خوان . .

- قال الشعبي: خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق . .

87 - وعن القرظي عن نوف وكان يقرأ الكتب قال: إنى لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل:

قوم يحتالون على الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس لباس مسوك الضأن⁽²⁾ وقلوبهم قلوب الذئاب!

يقول الله تعالى: «فعلى يجترءون وبى يغترون؟ حلفت بنفسى لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيهم حيران» .

قال القرظي: تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون، فوجدتها [في قوله تعالى] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

(1) بَصْبَصَ الْكَلْبُ: حَرَكَ ذَنَبَهُ .

(2) مُسُوكُ الضَّأْنِ: مِنَ اللَّيْنِ .

الْخَصَامَ ﴿٢٠٤﴾ [البقرة] [وفى قوله تعالى] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ...﴾ ﴿١١﴾ [الحج].

- عن ابن جريج قال: المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن. فالمؤمن يرحمه. ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه. لأباد خضراءه..

88 - وعن أبي الأحوص: قال ابن مسعود: أى أهل النار أشد عذابا؟

قال رجل: المنافقون.

قال: صدقت. فهل تدرى كيف يعذبون؟

قال: لا.

قال: يجعلون فى توايت من حديد تصمد عليهم، ثم يجعلون فى الدرك الأسفل فى تنانير أضيق من زج⁽¹⁾ يقال له: جب الحزن يطبق على أقوام بأعمالهم آخر الأبد..

- وأخرج ابن أبى حاتم عن كعب قال: والله إنى لأجد صفة المنافقين فى التوراة شرايين للقهوات، تباعين للشهوات، لعانين للكعبات، رقادين عن العتمة مفترطين فى الغدوات، تاركين للصلوات، تاركين للجمعات، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ...﴾ ﴿٥٩﴾ [مريم].

89 - عن هشام بن عروة: أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أخذ قوما يشربون [الخمر] فضربهم وفيهم رجل صالح! ف قيل: إنه صائم. فتلا: ﴿... فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ ﴿١٤٠﴾ [النساء].

(1) الزُّجُّ: زُجُّ الرُّمَحِ والسَّهْمِ والمقصود سن الرمح.

90 - قال خلف بن ياسين الكوفى: رأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله تعالى فى القرآن، وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة. رواه بن جرير . .

91 - عن أبى عثمان عن أسامة: قال رسول الله ﷺ: من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين . .

92 - حدثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال: لم تكن نسمى المنافقين كفارا على عهد رسول الله ﷺ . .

93 - وقيل: كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل، قال الله عز وجل فى المنافقين: ﴿... وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء]. وقال كعب: من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق، فإن فى ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل فوقعوا فى النفاق. وكثرة ذكره أمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يستلنى قلبا ذاكرا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل . .

94 - قال ابن عباس: نقل الحجارة أهون على المنافقين من قراءة القرآن . .

- قال محمد بن زياد الأعرابى: قال بعض الحكماء: خوفوا المؤمنين بالله وخوفوا المنافقين بالسلطان. والمرائين بالناس . .

95 - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع. والذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء الزرع . .

96 - قال منصور الفقيه:

الصدق أولى ما به دانَ امرؤ فاجعله دينا
ودع النفاق فما رأيت منافقًا إلا مهينا

97 - عن أنس قال: من لم تفته الركعة الأولى من الصلاة أربعين يوما، كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق . .

98 - قال مالك بن دينار: المنافقون في المساجد كالعصافير في القفص . .

99 - قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: تعوذوا بالله من خشوع النفاق، خشوع البدن ونفاق القلب . .

- وقال أبو هريرة: من أصاب دينارا أو درهما في فتنة، طبع على قلبه بطابع النفاق حتى يردّه . .

100 - وعن علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدأ لمظة⁽¹⁾ بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله . وإن النفاق: يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله . .

101 - عن عريب الهمداني قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: إنا إذا دخلنا على الأمراء زكيناهم بما ليس فيهم، فإذا خرجنا دعونا عليهم . قال: كنا نعد ذلك النفاق . وفي حديث آخر عن أبي الشعثاء قال: قيل لابن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول، فإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنا نعد ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفاق . .

102 - حدثنا أبو عثمان صاحب الرقيق قال: سئل الحسن عن النفاق، فقال: لو رفعوا عنكم لاستوحشتم . نافق هؤلاء بالتكذيب . ونافق هؤلاء بالعمل . .

(1) اللَّمُظَةُ: النقطة البيضاء .

103 - قال عبد الله بن مسعود: خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه .
قال أبو سليمان: يريد خالطهم ببدنك وزايلهم بقلبك ، وليس هذا من باب النفاق ولكنه من باب المداراة ، وقد قال النبي ﷺ: مداراة الناس صدقة . .

104 - حدثنا إبراهيم بن نشيط قال: سمعت ابن عمر مولى عفرة يقول:
أبعد الناس من النفاق أشدهم تخوفا على نفسه منه . الذى يرى أنه لا ينجيه منه شيء ، وأقرب الناس منه إذا زكى بما ليس فيه ارتاح قلبه وقبله!
وقال: قل إذا زكيت بما ليس فيك: اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون، فإنك تعلم ولا يعلمون . .

105 - حدثنا الفيض قال: سمعت الفضيل يقول: يكون فى آخر الزمان إخوان العلانية، أعداء السريرة، وذلك النفاق . .

106 - عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كان النفاق غريبا فى الإيمان ويوشك أن يكون الإيمان غريبا فى النفاق . .

- حدثنا جبير بن نفيير: أنه سمع أبا الدرداء وهو فى آخر صلاته وقد فرغ من التشهد يتعوذ بالله من النفاق، فأكثر من التعوذ منه، قال: فقال جبير: ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال: دعنا عنك فوالله إن الرجل ليتقلب عن دينه فى الساعة الواحدة فيخلع منه . .

- عن الحسن قال: لما ذكر أن النفاق يغول الإيمان⁽¹⁾ لم يكن شيء أخوف عندهم منه . .

- حدثنا جعفر بن حيان قال: قيل للحسن: إنهم يقولون لا نفاق، فقال الحسن: لأن أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلى من طلاع الأرض ذهباً . .

(1) الغَوْلُ: إهلاكُ الشيءِ من حيث لا يُحَسُّ به .

- عن أبي الشعثاء قال: دخل نفر على عبدالله بن عمر من أهل العراق، فوقعوا في يزيد بن معاوية فتناولوه، فقال لهم عبد الله: هذا قولكم لهم عندي، أتقولون هذا في وجوههم؟ قالوا: لا. بل نمدحهم ونثنى عليهم. فقال ابن عمر: هذا النفاق عندنا..

- حدثنا عروة بن الزبير قال: أتيت عبدالله بن عمر فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام نعلم أن الحق غيره فنصدقهم فيقضون بغير الحق، فنقر به عليهم ونحسنه لهم، فكيف ترى في ذلك؟ قال: يا ابن أخي كنا مع رسول الله ﷺ نعد هذا النفاق ولا أدرى كيف هو عندكم..

- حدثنا أبو الأشهب فقال: قال الحسن: من النفاق اختلاف اللسان والقلب واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج.

وفي حديث آخر عن عوف الأعرابي عن الحسن قال: كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل، والمدخل والمخرج. وكان يقال: أس النفاق الذي يبنى عليه النفاق الكذب..

107 - قال الفضيل: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق..

108 - قال القرطبي عن مالك: إن النفاق على عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة⁽¹⁾ اليوم عندنا..

(1) الزُّنْدِيقُ: القائل ببقاء الدهر فارسي معرب، وقيل: من لا يؤمن بالآخرة ووَحْدَانِيَّةِ الخالق وتقول العامة: مُلْحِدٌ وَدَهْرِيٌّ..

- عن الحسن قال: النفاق نفاقان: تكذيب بمحمد ﷺ فهذا لا يغفر. ونفاق خطايا وذنوب يرجى لصاحبه [المغفرة].

وعن الأوزاعي قال: كانوا لا يكفرون أحدا بذنب، ولا يشهدون على أحد بكفر ويتخوفون نفاق الأعمال على أنفسهم..

109 - قال الفضيل بن عياض: إن لله ملائكة يطلبون حلقات الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، فلا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليه، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة..

- وقال أحدهم:

وقفت على كتابك فاستراحت إليه النفس من حرق اشتياقي
وظلت كربة في القلب تطفئ دموعي من جفوني والمآقي
ولست أشك في قصد الأعدى وإن مقالهم عين النفاق
أتوا وقلوبهم حسدا وحقدا يجيش فذدتهم ذود الحقائق
أرادوا بالخصام فساد حق به أفتى الحجازي والعراقي

110 - جاء في الإحياء: الخلف من إمارات النفاق، أي [إن] كان بلا عذر ومن منعه العذر عن الوفاء جرى على صورة النفاق، فينبغي أن يتحرز عن صورته أيضا، ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة. وفي شرح مسلم للنووي: أوجب الوفاء به وإنجازه الحسن وبعض المالكية، ثم إن عاد عند الوعد عازما على عدم الوفاء به أي لغير عذر، فهذا هو النفاق..

111 - عن يحيى بن أبي كثير قال: النفاق تسع:

أولهن إذا سلم لم يسمع. وإذا سلم عليه لم يرد. وإذا حدث كذب. وإذا حلف حنث. وإذا سأل ألحف. وإذا سئل سوف. وإذا وعد أخلف. وإذا أؤتمن لم يؤد. وإذا نزلت بصاحبه مصيبة شمت!!

112 - قال الإمام أبو حنيفة رحمته الله: إياكم والقول فى دين الله تعالى بالرأى وعليكم باتباع السنة، فمن خرج عنها ضل .

ودخل عليه مرة رجل من أهل الكوفة والحديث يقرأ عنده، فقال الرجل: دعونا من هذه الأحاديث! فزجره الإمام أشد الزجر وقال له: لولا السنة ما فهم أحد منا القرآن. وقيل له مرة: قد ترك الناس العمل بالحديث وأقبلوا على سماعه. فقال: نفس سماعهم للحديث عمل به.

وكان يقول: لم تزل الناس فى صلاح ما دام فيهم من يطلب الحديث، فإذا طلبوا العلم بلا حديث فسدوا. ولا ينبغي لأحد أن يقول قولاً حتى يعلم أن شريعة رسول الله تقبله.

وكان الإمام مالك رحمته الله يقول: إياكم ورأى الرجال إلا إن أجمعوا عليه، واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وما جاء عن نبيكم، وإن لم تفهموا المعنى فسلموا لعلمائكم ولا تجادلوه، فإن الجدل فى الدين من بقايا النفاق .

113 - حدثنا غالب القطان قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد إنا نحضر المسجد وفيه المنافق وشارب الخمر واللوطى والفاسق فكيف ندعو؟ قال: نعم فى الدعاء والنصح للعامة، فإنما أنت شافع، فإن يعطك الله الذى تريد وإلا فقد قضيت الذى عليك .

114 - قال الأعمش: قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه زيد: يا ابن أخى إذا لقيت المؤمن فخالطه، وإذا لقيت المنافق فخالفه .

- عن الحسن قال: إن المؤمن يلقاه الزمان بعد الزمان بأمر واحد ووجه واحد ونصيحة واحدة، وإنما يبدل المنافق يشاكل كل قوم، ويسعى مع كل ريح .

115 - عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال الرجل للمنافق سيذا، فقد أهان الله . أخرجه أحمد فى كراهية مشية المطيطاء⁽¹⁾ .

(1) المطيطاء: مشية التبخر.

بالليل والنهار مثله مثل شجرة تنبت على شط، تؤتى ثمرتها فى حينها ولا يتناثر من ورقها شىء، كل عمله بأمرى وليس ذلك من عمل المنافقين. وقال: قرأت فى الزبور: بكبر المنافق يحترق المسكين..

119 - عن أبى عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب رحمه الله وهو على منبر رسول الله ﷺ أكثر من عدد أصابعى هذه، وهو يقول: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قيل: وكيف يكون المنافق العليم؟ قال: عالم اللسان، جاهل القلب والعمل. رواه الإمام أحمد فى مسنده..

120 - وعن الحسن رضي الله عنه: لا تضر المؤمن صلاته خلف المنافق، ولا تنفع المنافق صلاته خلف المؤمن.

وعن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: أنصلى خلف الحجاج؟ قال: إنا لنصلى خلف من هو شر منه..

121 - قال أبو هريرة: إذا سئل أحدكم أصائم أنت؟ فليقل: إني صائم، فأما المؤمن فيدعو له بخير، وأما المنافق فيقول: مرأى..

- قال عمر رضي الله عنه: نستعين بقوة المنافق، وإثمه عليه..

- قال وهب بن منبه: من خصال المنافق أن يحب الحمد ويبغض الذم..

122 - عن كعب قال: المؤمن الزاهد والمملوك الصالح آمان من الحساب وطوبى لهم كيف يحفظهم الله فى ديارهم. وقال: إن الله إذا أحب عبده المؤمن زوى عنه الدنيا ليرفعه درجات فى الجنة، وإذا أبغض عبده الكافر أو المنافق بسط له فى الدنيا حتى يسفله درجات فى النار..

123 - سئل حذيفة عن المنافق فقال: الذى يصف الإيمان ولا يعمل به. وفى المسند عن حذيفة قال: إنكم لتكلمون كلاما إن كنا لنعده على عهد رسول الله ﷺ النفاق. وفى رواية قال: إن الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله

ﷺ يصير بها منافقا. وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم أو فى المجلس عشر مرات!

- وروى الحسن: أنه حلف ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق غير آمن، وما مضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق.

- قال رجل للإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟

قال: ومن يأمن على نفسه النفاق؟

- وقيل: من أعظم خصال النفاق العملى: أن يعمل الإنسان عملا ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيئ، فيتم له ذلك، ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه، ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره وكان الحسن: يسمى من ظهرت منه أوصاف النفاق العملى منافقا.

- وقال الشعبى: من كذب فهو منافق..

124 - قال العلماء: عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر، لاستهزائه

بالدين..

125 - قال العلاء بن عبد الرحمن: إنه دخل على أنس بن مالك رضي الله عنه فى

دار له بالبصرة حين انصرف من الظهر، [وكانت] داره بجانب المسجد، فلما دخلنا عليه قال: صليتم العصر؟ قلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلوا العصر فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تلك صلاة المنافقين، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان، قام فقرأها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً. أخرجه مسلم عن على بن حجر..

- عن الحجاج بن عبد الله الثمالى: وكان قد رأى النبى ﷺ وحج معه

حجة الوداع، أن نفير بن مجيب حدثه وكان من أصحاب النبى ﷺ وقدمائهم،

فقال: إن في جهنم سبعين ألف واد، لكل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله. قال ابن منده: رواه عمر بن الخطاب السجستاني عن أبي اليمان الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عياش..

126 - قال ابن عون: قرأ رجل عند محمد بن سيرين قوله تعالى: ﴿لَنْ يَمُنَّ بِتَنَاهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ [الأحزاب] فقال محمد: لا نعلم شيئاً أرجى للمنافقين من هذه الآية، ما علمناه أغرى بهم حتى مات ﷺ..

127 - حدثنا شقيق عن حذيفة قال: المنافقون الذين فيكم اليوم شر من الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، قال: قلت يا أبا عبد الله وكيف ذاك؟ قال: إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء أعلنوه..

128 - قال ابن جريج: كان قارون ابن عم موسى، وقال قتادة: كان يسمى المنور من حسن صورته، ولكنه نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي..

129 - عن معاوية الهزلي صاحب النبي ﷺ قال: إن المنافق ليصوم فيكذبه الله ويصلي فيكذبه الله، ويتصدق فيكذبه الله، ويقوم فيكذبه الله، ويقا تل فيكذبه الله ويقتل فيجعله الله من أهل النار. ووقع في رواية جعفر من طريق يزيد بن هارون عن حريز رفع الحديث والمحفوظ أنه موقوف، كذا قال بشر بن بكر وعلى ابن عياش وأبو اليمان وغيرهم عن حريز..

130 - وقيل: الإيمان في اللغة التصديق بالقلب، والاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق. ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق. ومن أخل بالشهادة فهو كافر. والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود. فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء

والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف هو إيمان المبتدعين والإيمان
المردود هو إيمان المنافقين . .

131 - وقيل: الخلف ثلث النفاق . .

132 - سخط الرشيد على حميد الطوسي: فدعا له بالسيف والنطع، فبكى
فقال له: ما يبكيك؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، ما أفرع من الموت لأنه لا بد منه،
وإنما أسفًا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علي!! فعفا عنه.

- نظر رئيس بن هفان [الهزمي] وهو يسار رجلاً، فقال: فيم تكذبان؟

قال: في مدحك . .

- مر النمرى بالعتابي [وهو] مغموم، فقال: أعزك الله إن امرأتى بطلق منذ
ثلاثة [أيام] ونحن على يأس منها!

فقال له العتابي: وإن دواءها منك أقرب من وجهها، قل: هارون الرشيد،
فإن الولد يخرج!

فقال: شكوت إليك ما بى فتجيبنى بهذا.

فقال: ما أخذت هذا إلا من قولك [فى هارون الرشيد]:

إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع!



الباب السابع

الشعراء والنفاق

1 - قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ [الشعراء] الشعراء يتبعهم أهل الغى لا أهل الرشاد والهدى. واختلف أهل التأويل فى الذين وصفوا بالغى فى هذا الموضع، فقال بعضهم: رواة الشعر. وقال آخرون: السفهاء. وضلال الجن والإنس.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجن، وذلك أن الله عم بقوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) فلم يخص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) أَلَمْ تَرَ يا محمد أن الشعراء فى كل واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحق، وطريق الرشاد وقصد السبيل. وإنما هذا مثل ضربه الله لهم فى افتنانهم فى الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور. (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهذا استثناء من قوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) وذكر أن هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التى وصفه الله بها. اختلف أهل التأويل فى حال الذكر الذى وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء فقال بعضهم: هى حال منطقهم ومحاورتهم الناس فى كلامهم. وقال آخرون: بل ذلك فى شعرهم. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال فى كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا فى

كل أحوالهم . (وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) يقول: ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم وإجابتهم عما هجوههم به (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة (أَيَّ مُتَقَلِّبٍ يَنْقَلِبُونَ) مرجع يرجعون إليه، وأى معاد يعودون إليه بعد مماتهم فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها ولا يسكن لها . .

2 - روى أن أبا علي دعل بن علي الخزاعي كان شاعرا مجيدا إلا أنه كان بذىء اللسان مولعا بالهجو والخط من أقدار الناس، هجا الخلفاء ومنهم المأمون وطال عمره وشاع ذكره، وكان يقول: لى خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفى أدور على من يصلبنى عليها فما أجد من يفعل ذلك! ومن كلامه: من فضل الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه⁽¹⁾ الناس إلا الشاعر، فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له! ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له: أحسنت والله . فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى!!

3 - عن أبي المستهل قال: دخلت يوما على سلم الخاسر وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثى ببعضها أم جعفر، وأم جعفر يومئذ باقية، وبعضها جارية غير مسماة، وبعضها أقوام لم يموتوا! فقلت له: ويحك ما هذا؟ فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد، فنعد لهم هذا قبل كونه! فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديما على أنه قيل فى الوقت!

4 - ومن قصيدة لقاضى معرة النعمان أبو مرشد سليمان بن علي:

نزه لسانك عن نفاق منافقٍ وانصح فإن الدين نصح المؤمنِ
وتجنب المن المنكد للندى وأعن بنيلك من أعانك وامنن

(1) اجتواه و استجواه: كرهه ولم يوافقه.

5 - وقال آخر:

ورب منافق باطنه قَبْرٌ وظاهره مضى كالسراج
كمئذنه فظاهرها قويمٌ وباطنها ظلامٌ في اعوجاج

[ومن بعض ما نافق به الشعراء بتحسين القبيح الباطن بتحسين القبيح الظاهر: الملوك والخلفاء والأمراء والولاة والوزراء وعلية القوم، وتأول بعضهم مراتب الغلو إلى الكفر كما ذكرنا بشأن ابن هاني وأبي نواس وابن جبلة وغيرهم، أملا في أن ينالهم مما كنزوه من أموال المسلمين في خزائنتهم.

ومن العجب العجيب أن من نافقه الشعراء بمدحهم له، كان يصدق قولهم ويعتقد فعلا أن ما وصفوه به موجود به فعلا. والأنكى أنه كان يشبههم عليه!

ولو أمعن في التروى والعقل، لعلم تمام العلم أنه أبعد من أقل صفة وصف بها من صفات العظمة والجلال والكمال والقوة والشجاعة والطيبة والعفو والحلم والصلاح وسعة الأفق والرأى السديد الذى لا يعدله رأى، والعدل والخشوع والخوف من الله! وهو أبعد ما يكون منه. ولعلم بأن من مدح بصفة غير موجودة به فقد سب.

علما بأن مبدأ الشعراء وغايتهم، الحصول على المال، مستخدمين في ذلك نفاقهم وتزلفهم، وتجاوز حد المديح يؤيد هذا، قول بعضهم]:

إذا ما المدح صار بلا نوالٍ من الممدوح كان هو الهجاء

6 - ابن هانئ الأندلسي الشاعر⁽¹⁾: استصحبه المعز لدين الله الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى مصر، فمات ببعض الطريق، وجد مقتولا على حافة البحر، وقد كان قوى النظم، إلا أنه كفره غير واحد من العلماء في مبالغته في مدحه الخلق، فمن ذلك قوله يمدح المعز:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكمُ فأنْتَ الواحدُ القهارُ
وهذا من أكبر الكفر.

وقال أيضا قبحه الله وأخزاه:

أُمْدِيرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَشَدَّ مَا زاحمتَ حولَ ركبهِ جبريلا

(1) هو محمد بن هانئ الأندلسي ويكنى بأبي القاسم من قبيلة المهلب بن أبي صفرة، اختلف في ولادته وموضعها ونشأته فقليل في قرطبة وقيل في أشبيلية وقيل غرناطة، واتصل بصاحب أشبيلية وحظي عنده، وهو عند أهل المغرب كالمُتَنَبَّى عند أهل المشرق، قيل عنه: أديب شاعر نال حظا واسعا من علوم الأدب وفنونه وبرز في الشعر فلم يبارِه في حلبته مبارٍ ولم يشق غباره لاحق. وفي إشبيلية نقم الناس عليه مستكرين تهتكه وانغماسه في ملاذه وملاهيهِ وتطرفه وتبنيه آراء الفلاسفة، التي تتعارض مع التعاليم الإسلامية السائدة ولا تتمشى مع روح الشريعة. وما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل، فلما اشتهر عنه [ذلك] نقم عليه أهل إشبيلية وساءت المقالة في حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضاً، فأشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة، ينسى فيها خبره درءاً للفتنة، فخرج متنقلاً في البلاد، وبلغ خبر ابن هانئ إلى المعز الذي سارع في استقدمه وبالع في إكرامه. فاندفع في تمجيد الخلافة الفاطمية، وتأليه السلطان تأليهاً يتعارض مع الإيمان الصادق الذي لا يقبل شريكاً لله عز وجل. فالعالم كما يراه ابن هانئ مخلوق للمعز فهو علة وجوده وسببه والمعز موصوف عنده بما وصف الله جل شأنه نفسه! وكانت نهايته أن مات شاباً في السادسة والثلاثين، وقيل: أربعون في برقة وهو متوجه إلى بلده، حيث وجد ملقى في ساقية مخنوقاً بتكة سراويله. على يد الجماعات المحافظة التي هالها ما في شعره. وحين تناهى خبر هذا المصير إلى الخليفة المعز أبدى الانزعاج وأسف أسفاً عظيماً.

ومن ذلك قوله ابن الأثير ولم أرها فى شعره ولا فى ديوانه :

جل بزيادةٍ جلَّ المسيح بهــــــــــــــــا وجل آدم ونُوح
جل بها الله ذو المعالى فكل شيء ســــــــــــــــواه رِيح

وقد اعتذر عنه بعض المتعصبين له ، قلت : هذا الكلام إن صح عنه فليس
عنه اعتذار لا فى الدار الآخرة ولا فى هذه الدار . [وهذه بعض أبيات القصيدة]:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ
وكأنما أنتَ النُّبىُّ مُحَمَّدٌ وكأنما أنصاركُ الأنصارُ
أنتَ الذى كانتَ تُبشِّرنا بهِ فى كُتُبها الأَحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتَّقِينَ ومن بهِ قد دُويخَ الطُّغْيَانُ والكُفَّارُ
هذا الذى ترجى النِّجاةُ بِحُبِّهِ وبه يُحطُّ الإِصرُ والأوزارُ
هذا الذى تجدى شفاعته غداً وتَفجَّرتَ وتدفَّقتَ أنهارُ
من آلِ أحمدَ كلَّ فخرٍ لم يكنُ يُنمى إليهم ليس فيه فَخارُ
أبناءَ فاطمَ هل لنا فى حشرنا لجأ سواكم عاصمٌ ومجارُ
أنتم أحِبَّاءُ الإِلهِ وآلُهُ خُلفاؤُهُ فى أرضِهِ الأبرارِ
أهلُ النُّبوةِ والرِّسالةِ والهدى فى البَيِّناتِ وسادةُ أَطهارِ
والوحيِ والتَّأويلِ والتَّحريمِ والتَّحليلِ لا خُلفٌ ولا إنكارِ
إن قيل من خيرُ البريةِ لم يكنُ إلَّا كمْ خُلقٌ إليهِ يشارُ
لو تلمسونَ الصَّخَرَ لانبجستُ بهِ وتَفجَّرتَ وتدفَّقتَ أنهارُ
أو كان منكمُ للرُّفاتِ مُخاطِبٌ لَبَّـوا وظنَّوا أنَّه إنشارُ

أَمْعَزَ دِينَ اللّٰهَ إِنِّ زَمَانَنَا
والأَرْضُ كَادَتْ تَفْخَرُ السَّبْعَ العَلَى
والدَّهْرُ لَأَذَّ بِحَقْوَتِكَ وَصَرْفِهِ
شَرُفْتُ بِكَ الْآفَاقُ وَانْقَسَمَتْ بِكَ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ تُحَدَّ بِمَقُولٍ
بِكَ فِيهِ بِأَوْجَلٍّ وَاسْتِكْبَارٍ⁽¹⁾
لَوْ لَا يَظْلُكُ سَقْفُهَا المَوَارِ
وَمَلُوكُهُ وَمَلَائِكُ أَطْوَارِ
الْأَرْزَاقُ وَالْأَجَالُ وَالْأَعْمَارِ
مَا يَصْنَعُ المِصْدَاقُ وَالْمِكَثَارِ

ويقول أيضا في المعز:

هَذَا الَّذِي مَلَأَ القُلُوبَ جَلَالَهُ
يَوْمٌ تَجَلَّى اللّٰهُ مِنْ مَلَكُوتِهِ
جَلَّتْ فِيهِ بِنَظَرَةٍ فَمُنَحْتُهُ
وَشَفَعَتْ فِي وَفْدِ الْحَجِيجِ كَأَنَّمَا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا
فَرَآكَ فِي المَرَأَى الجَلِيلِ جَلِيلًا
نَظَرًا بِرُؤْيَا غَيْرِهِ مَشْغُولًا
نَفَلْتَهُمْ إِخْلَاصَكَ المَقْبُولًا

أَبْنَى النُّبُوَّةِ هَلْ نَبَادِرُ غَايَةٍ
إِنَّ الخَبِيرَ بِكُمْ أَجَدَّ بِخُلُقِكُمْ
آتَاكُمْ القُدْسَ الَّذِي لَمْ يُوْتِهِ
إِنَّا اسْتَلَمْنَا رُكْنَكُمْ وَدَنَوْتُمْ
فَوَصَلْتُمْ مَا بَيْنَنَا وَأَمَدَّكُمْ
مَا عَذَرَكُمْ أَنْ لَا تَطْيِبَ فِرْعَوْنَكُمْ
وَنَقُولُ فِيكُمْ غَيْرَ مَا قَدْ قِيلَا
غَيْبًا فَجَرَدَ فِيكُمْ التَّنْزِيلَا
بَشَرًا وَأَنْفَذَ فِيكُمْ التَّفْضِيلَا
حَتَّى اسْتَلَمْتُمْ عَرْشَهُ المَحْمُولَا
بِرَهَانِهِ سَبَبًا بِهِ مَوْصُولَا
وَلَقَدْ رَسَخْتُمْ فِي السَّمَاءِ أُصُولَا

(1) الوجَل: الفرع والخوف.

أعطتكم شَمُ الأنوفِ مقادَةً
أمتوجَّ الخُلَفاءِ حاكِمُهُمُ وإنْ
فالكُتُبُ لولا أنَّها لكَ شَهِدٌ
اللهُ يَجْزِيكَ الَّذِي لَمْ يَجْزِهِ
ولقد براكَ وكنتَ موثقُهُ الَّذِي
حتى إذا استرعاكَ أمرَ عبادِهِ
من بينِ حجبِ النُّورِ حيثُ تَبَوَّأتُ
أدى أمانتَهُ وزيدَ من الرِّضَى
وورثتَهُ البُرْهانَ والتَّبيانَ

وركبتمُ ظَهْرَ الزَّمانِ ذُلولا
كان القضاءُ بما تشاءُ كفيلا
ما فُصِّلَتْ آياتُها تفصيلا
فيما هَدَيْتَ الجاهِلَ الضَّليلا
أخذَ الكِتابَ وعهدُهُ المسؤولَ
أدنى إِلَيْهِ أباكَ إِسماعِيلا
أباؤُهُ ظِلُّ الجِنانِ ظَلِيلا
قرباً فجاورَهُ الإلهُ خليلا
والفرقانَ والتَّوراةَ والأنجيلا

وعلمتُ مَنْ مكنونِ علمِ اللهِ ما
لو كنتَ آوِنَةً نَبِيًّا مُرْسَلًا
أو كنتَ نُوحًا مُنذِرًا في قومِهِ
للهِ فيكَ سريرةٌ لو أُعْلِنَتْ
لو كانَ أعطى الخَلْقَ ما أُوتِيَتْهُ
لولا حجابٌ دونَ علمِكَ حاجزٌ
لولاكَ لَمْ يَكُنِ التَّفْكَرُ واعظًا
لو لم تَكُنْ سَبَبَ النِّجاةِ لأهلِها

لَمْ يَوْتَ جبريلاً وميكائِلا
نُشِرَتْ بمبعثِكَ القُرُونُ الأولى
ما زادهم بدُعاءهِ تَضْلِيلًا
أحيا بذكركَ قاتِلُ مقتولا
لَمْ يَخْلُقِ التَّشْبِيهَ والتمثيلا
وَجَدُوا إِلَى عِلْمِ الغُيُوبِ سَبِيلًا
والعقلُ رُشْدًا والقياسُ دَلِيلًا
لَمْ يُغْنِ إيمانُ العبادِ فتِيلًا

ومن قصيدة قالها: يمدح فيها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، بعد أن تم له فتح مصر يقول:

إمام رأيت الدينَ مرتبطاً به فطاعتهُ فوز وعصيانهُ خُسر
أرى مدحه كالمدحِ لله إنه قنوتٌ وتسبيحٌ يُحط به الوزر
هو الوارثُ الدنيا ومن خلقت له من الناس حتى يلتقى القطرُ والقطرُ
ويقول في المعز:

إذا أنتَ لم تعلمَ حقيقةَ فضله فسائل به الوحيَ المنزَّلَ تعلم
فأقسمُ لو لم يأخذ الناسُ وصفه عن الله لم يُعقل ولم يُتوهم
ألا إنما الأقدارُ طوعُ بنانه فحاربه تُحرب أو فسالمه تُسلم
إمام هدى ما التفَّ ثوبُ نبوةٍ على ابن نبي منه بالله أعلم

لك الدهرُ والأيامُ تجري صرُوفها بما شئتَ من حَتَفٍ ورزقٍ مقسَم
وللدهرِ سجلٌ من حياةٍ ومن ردى ولكنه من بطنٍ كَفَّيكَ ينهمى
فلا مُهْجَة في الأرضِ منك مَنِعةً ولو قطرتُ من ريقٍ أرقطَ أرقم⁽¹⁾
ولو أنها نيطتُ بمخلَبِ قَسُورٍ ولو أنها باتتُ على روقٍ أعصم⁽²⁾
لقد أعذرتُ فيكَ اللياليَ وأنذرتُ فقل للخطوبِ استأخري أو تقدّمي
وأيَّ قوافي الشعرِ فيكَ أحوَّكها وما تركَ التنزيلُ من مُتردِّم⁽³⁾

(1) الأرقم: الحية.

(2) القسور: الأسد.

(3) المتردم من الثوب: الذي تردم أي رفع.

لولا مُعَزُّ والخِلافةُ لم أكنُ
فَرَعَ الإلهُ له بكلِّ فضيلةٍ
هذا الذى تُتلى مآثرُ فضلهِ
يجرى القضاءُ بما تشاءُ فَنازحُ
أعتدُّ من عمرى بما أَسْتَقْبِلُ
أيامَ آياتِ الكتابِ تُفَصِّلُ
فيَنا كما يُتلى الكتابُ المُنزَلُ
ومُقَرَّبٌ ومُؤَجَّلٌ ومُعَجَّلُ

ويقول فيه أيضاً:

لك صدقٌ وعد الله فى فُرْقانه
والمدحُ فى ملكِ سِوَاكَ مُضِيعٌ
ولك الشِّفاعةُ كأسُها وحياضُها
لا ما يقولُ الجاهلون الضُّلَّلُ
والقولُ فى أحدِ سِوَاكَ تَقُولُ
ولك المَعِينُ تَعَلَّ منه وتُنْهَلُ

وطِفِقتُ أسألُ عن أغرِّ مَحْجَلٍ
حتى دُفِعتُ إلى المعزِّ خليفَةً
جودٌ كأنَّ اليمَّ فيه نفائهُ
ملكٌ إذا نطقتُ علَّاهُ بمدحِهِ
هو علَّةُ الدُّنيا ومن خلقتُ له
من صفوِّ ماءِ الوحى وهو مُجاجةٌ
من أَيْكةِ الفردوسِ حيثُ تفتتُ
فلإذا الأنامُ جِبلَةٌ دَهِماءُ
فعلمتُ أنَّ المَطْلَبَ الخُلَفاءُ
وكأنما الدُّنيا عليه غِشاءُ
خرسَ الوفودِ وأفحمَ الخطباءُ
ولعلَّةِ ما كانتِ الأشياءُ
من حَوْضِهِ ينبوعٌ وهو شفاءُ
ثمراتها وتفيّاً الأفياءُ

من شِعلةِ القَبَسِ التى عُرِضَتْ على
من معدنِ التَّقْدِيسِ وهو سِلالةُ
موسى وقد حارتْ به الظُّلَماءُ
من جوهرِ المَلَكُوتِ وهو ضياءُ

من حيثُ يقتبسُ النهارُ لمبصرٍ
ليستُ سماءُ الله ما ترأُونَهَا
أما كواكبُها له فخَواضعُ
هذا الشفيعُ لأُمَّةٍ يأتى بها
فعليه من سِما النبيِّ دلالةٌ
ورثَ المُقيمَ ييثربُ فالمنبرُ
نزلتْ ملائكةُ السماءِ بنصره
والفلكُ والفلكُ المَدارُ وسعده
والدهرُ والأَيَّامُ فى تصريفِها
أينَ المفرُّ ولا مفرَّ لهاربٍ
وتشقُّ عن مكنونِها الأنبياءُ
لكنَّ أرضاً تحويه سماءُ
تخفى السُّجودَ ويظهرُ الإيماءُ
وجُدودهُ لجُدودِها شُفعاءُ
وعليه من نورِ الإلهِ بهاءُ
الأعلى له والتُّرعةُ العلياءُ
وأطاعهُ الإصباحُ والإمساءُ
والغزوُ فى الدَّماءِ والدَّماءُ
والناسُ والخضرَاءُ والغبراءُ
ولك البَسيطانِ الثُّرى والماءُ

ولكَ الجوارى المنشآتُ مواخرًا
وصِفاتُ ذاتك منك يأخذها الورى
قد جالتِ الأوهامُ فيكَ فدقتِ
فَعنتَ لكَ الأبصارُ وانقادتْ لكَ
حسبى بمدحك فيه ذخرًا إنَّه
لا تسألنَّ عن الزَّمانِ فإنَّه
تَجرى بأمرِكَ والرياحُ رخاءُ
فى المكرماتِ فكلَّها أسماءُ
الأفكارُ عنكَ فجَلَّتْ الآلاءُ
الأقْدارُ واستحيَتْ لكَ الأنواءُ
للنُّسكِ عندَ الناسِ كِفَاءُ
فى رَاحتِكَ يدورُ كيف تشاءُ

ملك أناخَ على الزمانِ بكلِّ
يمضى المنيا والعطايا وادعًا
فأذلَّ صعبًا فى القيادِ جموحا
تعبتْ له عزامتهُ وأريحا

نَدَعُوهُ مُتَّقِمًا عَزِيزًا قَادِرًا	غَفَّارَ مُوبِقَةِ الذُّنُوبِ صَفُوحَا
وَهُوَ الْغَمَامُ يَصُوبُ مِنْهُ حَيَاتُنَا	لَا كَالْغَمَامِ الْمُسْتَهْلُ دُلُوحَا
نَعِشَ الْجُدُودَ فَلَوْ يُصَافِحُ هَالِكًا	مَا وَسَدْتَهُ يَدُ الْمُنُونِ ضَرِيحَا
فَكَأَنَّمَا مَلَكَ الْقَضَاءُ مُقَدَّرًا	فِي كُلِّ أَوْبٍ وَالْحَمَامِ مَتِيحَا
أَوْتَيْتَ فَضْلَ خِلَافَةٍ.. كَنْبُوتٍ	وَنَجَى إِلَهَامٍ كَوَحِيٍّ يُوْحِي
نَطَقْتَ بِكَ السَّبْعُ الْمَثَانِي أَلْسِنًا	فَكَفَّيْنَنَا التَّعْرِیْضَ وَالتَّصْرِیْحَا
أَقْسَمْتُ لَوْلَا أَنْ دَعَيْتَ خَلِيفَةً	لَدُعِيتَ مِنْ بَعْدِ الْمَسِيحِ مَسِيحَا
شَهِدْتَ بِمُفْخَرِكَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى	وَتَنَزَّلَ الْقُرْآنُ فِيكَ مَدِيحَا

وَلَقَدْ أَتَيْتَ الْأَرْضَ مِنْ أَطْرَافِهَا	وَوَطَّئْتَهَا بِالْعِزِّمِ وَهِيَ ذَلُولُ
مَنْ يَهْتَدِي دُونَ الْمَعِزِّ خَلِيفَةً	إِنَّ الْهَدَايَةَ دُونَهُ تَضْلِيلُ
مَنْ يَشْهَدِ الْقُرْآنُ فِيهِ بِفَضْلِهِ	وَتَصَدَّقُ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ

7 - قال علي بن جبلة بن مسلم المعروف بالعكوك الشاعر في أبو دلف:

يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ	وَمَجِيرَ الْيُسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ	بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دَلْفٍ	وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ	بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضِرِهِ
مُسْتَعِيرٍ مِنْكَ مَكْرَمَةٍ	يَكْسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَاخِرِهِ

فلما بلغت المأمون: غضب غضباً شديداً على العكوك، فطلب فهرب،
فاجتهدوا إلى أن جاءوا به مقيدا، فلما صار بين يديه قال له: يا ابن اللخناء⁽¹⁾،
أنت القائل في مدحك لأبى دلف كل من في الأرض من عرب (البيتين). جعلتنا
ممن نستعير المكارم منه ويفتخر بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس
بكم لأن الله تعالى اختصكم لنفسه على عباده! . وآتاكم الكتاب والحكم. وإنما
ذهبت في شعري لأقران وأشكال أبى دلف! . فقال: والله ما بقيت من أحد ولقد
أدخلتنا في الكل وما أستحل دمك بهذا، ولكن بكفرك حيث قلت في عبد ذليل:
أنت الذى تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرفاً إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال
ذاك هو الله يا كافر. أخرجوا لسانه من قفاه! . ففعلوا به ذلك فمات.. .

8 - ولصفي الدين الحلى قوله:

اثني فتشني صفاتك مظهراً عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أننى والخلق جميعاً ألسن نشنى عليك لما قضينا الواجبا

- وقال آخر:

ودخل الحسين بن مطير على المهدي فأنشده قوله:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ما كان فى الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صورة الجود

(1) اللخناء: هى المرأة التى لم تُختن.

لو أن من نوره مثقال خردلة فى السود طرا إذن لابيضت السود
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن بنانك يجرى الماء فى العود

- وقال آخر:

أوليتنى نعمًا وفضلاً زائداً وبررتنى حتى رأيتك وألدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم ما كنت إلا راکعاً لك ساجداً

9 - وقال زياد الأعجم يرثى المغيرة بن المهلب من قصيدة اخترت منها قوله:

إن السّاحة والمروءة ضُمَّتا قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
فَإِذَا مَرَرْتُ بِقَبْرِهِ فَاعْقُرْ بِهِ كُومَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحِ
وَأَرَى الْمَكَارِمَ يَوْمَ زَيْلِ بَنَعَشِهِ زَالَتْ بِفَضْلِ فَوَاضِلٍ وَمَدَائِحِ
رَجَفَتْ لِمَصْرَعِهِ الْبِلَادُ وَأَصْبَحَتْ مَنَّا الْقُلُوبُ لَذَاكَ غَيْرَ صَحَائِحِ

10 - ومن باب تحسين القبيح: البيتان المنسوبان إلى وزير العزيز الفاطمى .
فقد اتفق للعزيز الفاطمى أن تسابق مع وزيره [بطير] الحمام، فجاء حمام الوزير
سابقاً، فاغتاز الخليفة الفاطمى من ذلك وحققها على الوزير وأراد الإيقاع به!!
فخاف الوزير وكتب إليه:

قل لأمير المؤمنين الذى له العلى والمثل الثاقبُ
طائرك السابق لكنه جاء وفى خدمته حاجبُ

يريد أن يقول: إن طائرى وإن تقدم على طائرك، فليس معنى هذا أنه
السابق وإنما هو يتقدم سيده! . فسر الخليفة بهذا التعليل!!

- ومن النفاق أيضا ما قاله أبو الحسين بن النجار عند احتراق الحرم النبوي الشريف :

لله في النار التي وقعت به سرُّ عن العقلاء لا تخفيه
أن ليس يبقى في فناه بقيةٌ مما بتَّه بنو أمية فيه
- ومثله في الحادث نفسه :

لم يحترق حرم النبي لريبة تخشى عليه ولا هناك العارُ
لكنها أيدي الروافض لامست ذاك الضريح فطهرته النار
- وقال المتنبي :

كفى بجسمي نحو لا أننى رجلٌ لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

كأنى دحوت الأرض من خبرتى بها وكأن بنى الإسكندر السد من عزمي
- وقال في عضد الدولة :

عضد الدولة بان ركنها ملك الأملاك غلابُ القدر
- ولصفي الدين الحلي قوله :

لو قابل الأعمى غدا بصيراً ولو رأى ميّتا غدا منشورا
ولو يشا كان الظلام نورا ولو أتاه الليل مستجيرا

11 - ومراتب الغلو تتفاوت إلى أن تؤول بقائلها إلى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد :

مارست ما لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا

ومثل هذا أيضا لا يقبله العقل ولا عليه رونق القبول. وقيل: بأن الله ابتلاه بسبب هذا البيت، بمرض كان فيه يخاف الذباب أن يقع عليه!!

- ومنه قوله:

مارست ما لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا
ولو حمى المقدار عنه مهجة لرامها أو تستبيح ما حمى
تغدو المنايا طائعات أمره ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى

12 - وقال أبو نواس يمدح أمير المؤمنين هارون الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطفُ التى لم تخلق

- ومما يروى أن العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له أما تستحي من الله بقولك:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطفُ التى لم تخلق

فقال له أبو نواس: وأنت أيضا ما استحييت من الله بقولك:

مازلت فى غمرات الموت مطرحا يضيق عني وسيع الرأى من حيل
فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

فقال العتابي: قد علم الله وعلمت، أن هذا ليس مثل قولك، ولكنك أعددت لكل سؤال جواباً..

13 - امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء مولى عمرو ابن حريث صاحب المهدي، فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب! . ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر، فقال بعضهم: يا عجباً للأمير يعطى أبا العتاهية سبعين ألف درهم! . فبلغ ذلك عمر فقال: على بهم، فأدخلوا عليه فقال: ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء! . إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشرب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتاً، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتانا أبو العتاهية فشرب بيّتين ثم قال:

إني أمنت من الزمان وصرفه لما علقتُ من الأمير حبالاً
لو يستطيع الناسُ من إجلاله لحدُّوا له حر الوجوه نعلاً
ما كان هذا الجودُ حتى كنت يا عمرو ولو يوماً تزول لزالا
إن المطايا تشتكك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالاً
فإذا وردن بنا وردن خفائفاً وإذا صدرن بنا صدرن ثقلاً

14 - وقال أبو محمد بن الطلاء المهدي في مدح ابن عمار حين دخوله بمرسية:

يا أيها الملك السعادة أطبقت جفناً عليك فبت بجفنٍ مطبقٍ
هبط المطوق جبرئيل منظماً لك در كل كرامة فتطوق
ما غيرك الملك المطوق وحده أبداً بروح القدس فافتق وارتق

15 - ويقول يزيد بن خالد المعروف بابن حسابات:

ألم تر أن الجود من صلب آدم تحدر حتى صار في راحة الفضل

إذا ما أبو العباس جادت سماؤه فيالك من طل ويالك من وبل

16 - ومن شعر ربيعة الرقي في مدح العباس :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل لا وأنت مخلدٌ ما قالها
وما أن أعد من المكارم خصلةً إلا وجدتكَ عمَّها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها

17 - وأنشد القاضي شمس الدين بن خلكان في نقيب الأشراف بالمدائن :

قد قلت للرجل المولى غسله هلا أطاع وكنت من نصحاءه
جنبه ماءك ثم غسله بما أذرت عيونُ المجد عند بكائه
ومر الملائكة الكرام بنقله شرفُ أَلست تراهم بإزائه
لا توه أعناق الرجال بحمله يكفي الذي حملوه من نعمائه

- قال بكر بن النطاح في أبي دلف :

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميلٌ إذا نظم الفوارس ميلا

- قال أبو جعفر أحمد بن عيسى البلاذري : كنت من جلساء المستعين

فقصده الشعراء فقال : لست أقبل إلا من يقول مثل قول البحتری في المتوكل :

فلو أن مشتاقًا تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

فرجعت إلى دارى وأتيته وقلت: قد [قلت] فيك أحسن مما قاله البحتري .
قال : هاته؟ فأنشدته :

ولو أن بُرد المصطفى إذ لبسته يَظُنَّ لَظَنَ البُردُ أَنَّكَ صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه
فقال: ارجع إلى منزلك وافعل ما أمرك به . فرجعت فبعث إلى سبعة آلاف
دينار وقال: ادخر هذه للحوادث من بعدى، ولك الجراية والكفاية ما دمت حيًّا! .

- جاء إلى خالد بن عبدالله بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو،
فقال له: إني قد قلت فيك بيتين من الشعر، فقال: فى مثل هذا الحال؟ قال:
نعم . فقال: هاتهما، فأنشد يقول:

يا واحد العرب الذى ما فى الأنام له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير
فقال: يا غلام أعطه عشرين ألف دينار!!

18 - ومن قصيدة لابن حجاج:

فأقسم لا بيسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد
ولكن بالوجوه البيض مثل الأهلة تحت أغصان القدود
وشرب الرى من خمر الثنايا وشم المسك من ورد الخدود
وتطفيتى حرار الوجه يوم الفراق بمص رمان النهود
وبالخمر التى كانت لعاد ولكن بعد محتهم بهود

مدامٌ فى قديمِ الدهرِ كانت تعد لكل جبارٍ عنيد
مدام ليس لى فيها إمام أصلى خلفه غير الوليد
- ابن أبى البغل حيث قال فى الرشيد:

لو عبدَ الناس سوى ربهم أصبحت دونَ الله معبودا
فأسعدَ بدنيا قد نظمت أمورها وسددتها بالرفق أى سداد
ورعية أصلحتها بتألفٍ وتعطف من بعد طول فسادٍ
داويت من سقم النفاقِ قلوبها وشفيت مرضاها من الأحقادِ
فنصبت للإسلام أكرمَ راية وقسمت أهلَ الجبر والإحادِ
وأفضت عدلك فى البلاد وأهلها وضربت دون الظلم بالأسداد

19 - وحكى أن السرى الرفاء قصد سيف الدولة ابن حمدان وأنشده:

إنى رأيتك جالسا فى مجلس قعد الملوك به لديك وقاموا
فكأنك الدهر المحيط عليهم وكأنهم من حولك الأيام

20 - لما قتل أبو العباس سليمان بن هشام، دخل عليه إبراهيم بن المهاجر البجلي فأنشده:

إن بنى العباس إن كنتُ سائلا همُّ قتلوا من كان أعتى وأظلما
هم ضربوا رأس النفاقِ بسيفهم وهم ملأوا ثوبيه من دمه دما
فمن لم يذن منا بحبك ربه فليس يلاقيه إذا مات مسلما

21 - قال العماد: يمدح أسد الدين شيركوه وقد أخذ الشقيف⁽¹⁾، ورحل طالباً حصناً يقال له العراق:

وما نخشى على الإسلام بؤساً إذا هلك الجميع وأنت باقى
أشاوركم تشاور كل خب وتنفق عند مثلك بالنفاق

- وأنشد أبو الفوارس سعد بن محمد بن الصيفى المعروف بحيص بيص جمال الدين أبى جعفر محمد [عندما] تولى وزارة الموصل فقال:

يعطى الجزيل لسائلى معروفه ويجود بالنعمى إذا لم يسأل
السحب تظمر ما تظلم وجوده يسرى ودار مقامه بالموصل
فلو أنه فى عصره نزلت له فى مدحه سور الكتاب المنزل

22 - ولابن معتوق قوله:

قديرٌ ذو قدورٍ راسياتٍ تُقابِلُها جِفانٌ كالجِوابِى
فَصِيحٌ ما لِمِنْطِقِهِ شَبِيهٌ لو حَمَلَتْ بهِ أُمُّ الكِتابِ
إلى أن يقول:

ولا برحتُ أكفُّ نِداكُ تجرى بِنُثرِ الدُرِّ مَنْظُومَ الْخِطَابِ
وَلَا زَالَتْ لَكَ الْأَقْدَارُ تُقْضَى بما تهوى إلى يومِ الحِسابِ

(1) الشقيف: قلعة حصينة جداً فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق تقع بينها وبين الساحل.

23 - عماد الدين ابن ريان: كتب إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر

يقول:

يا من إذا استنخى ليوم كريهة هزت شمائله المروة فانتخى
أنت الذى يخشى ويرجى دائماً وإليك يلجأ فى الشدائد والرخا
وإذا تميل إلى الكسير جبرته وعلى العلى من الجبال تفسخا
دانت لك الأقدار فهى كما تشا بمحلك العالى غدت تجرى رخا

24 - وقال يحيى بن محمد الأسلمى فى الموفق:

ملك أعاد الدين بعد دروسه واستنقذ الأسرى من الأغلال
أنت المجير من الزمان إذا سطا وإليك يقصد راغب بسؤال
أطفأت نيران النفاق وقد علت يا واهب الآمال والآجال

25 - ويقول البحتري:

قد جعل الله إلى جعفر حياطة الدين وقمع النفاق
طاعته فرض وعصيانه من أعظم الكفر وأعلى الشقاق
من لم يبحك النصيح من قلبه فما له فى دينه من خلاق

26 - ويقول ابن حيوس:

أما الزمان ففى يدك عنانه يا أيها الملك المعظم شأنه
ذلت جامحه فصار كما ترى لا جوره يخشى ولا عدوانه

27 - وقال على بن جبلة العكوك: من شعراء الدولة العباسية يخاطب أبا غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي:

وما لامرئٍ حاولته منك مهربٌ ولو رفَعته في السماء المطالع

- وقال عمر بن لجأ التيمي في يزيد بن المهلب:

آل المهلب قومٌ خولوا شرفاً ما ناله عربىٌ لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخالهم بما احتكمت من الدنيا لما حادا
إن المكارم أرواحٌ يكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا

- وقال منصور النمرى من شعراء الدولة العباسية في الرشيد:

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيثُ تجتمعُ
إذا رفعت امرأً فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام يتضعُ
إن أخلف القطر لم تخلف مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسعُ
لما أخذت بكفى حبل طاعته أيقنتُ أنى من الأحداثِ ممتنع
من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمسِ يتففعُ

- وقال آخر:

لزمت نَعَمَ حتى كأنك لم تكن بلا عارقاً في سالفِ الدهر والأمم
وأنكرتَ لا حتى كأنك لم تكن سمعتَ من الأشياء شيئاً سوى نَعَم

- ولآخر: فى خالد بن عبد الله القسرى:

هذا الذى آمل تعميره لدفع ما أخشى من الدهر
ما قال لا قط ولو قالها صام لها العشر من الشهر

28 - حمدان بن يوسف بن محمد البابى قال فى افتخار الدين أبى هاشم
عبد المطلب بن الفضل الهاشمى:

الإمام الأروع الصدر الذى قد كفاه المدح علم ونجار
يا شريفًا شرف الدهر به فهو للدنيا وللدين منار
أنت من قوم إذا ما شفّعوا لامرئ فى الحشر لم تمسه نار

29 - وقال عماد الدين الأصبهاني فى أسد الدين شيركوه:

تبلغت بالجد ما لا يبلغ البشر ونلت ما عجزت عن نيله القدر
يهتدى للذى أنت اهتديت له ومن له مثل ما أثرته أثر
أسرت أم بسراك الأرض قد طويت فأنت إسكندر فى السير أم خضر
لو فى زمان رسول الله كنت أنت فى هذه السيرة المحمود السور
أصبحت بالعدل والإقدام منفردا فنقل لنا أعلى أنت أم عمر
وكيف يخذل جيش أنت مالكه والقائدان له التأيد والظفر
أجاب فيك إله الخلق دعوة من يطيب بالليل من أنفاسه السحر

30 - الفقيه أبو عمر أحمد بن عيسى الإلييري: خاطب الوزير أبا العباس
ابن العريف فقال:

يا خالقاً خلق الزمان بقدره فى غير حينٍ من أحيين الزمان
يا محدثاً لكل كنت ولم تزل وكذاك ربى لا يزال بلا مكان
أنت الذى جلت صفات جلاله وعلت جلالته عن إدراك العيان

- وله:

ملكٌ تعالى فوق غايات العلا يقضى القضاء على نهايات الثرى
من فوق فوق الفوق ينفذ حكمه فى تحت تحت التحت تحت الانتها
قرباً وبعداً وهو أبعد من نأى من كل شىء وهو أقرب من دنا
رجلت صفات جلاله فجلاله قد جل عن تحديد كيف ومن وما

31 - ولابن الساعاتى فى الملك الظافر مظفر الدين قوله:

تقف الملوك له ولولا قسرهما وقفت لديه دوائر الأفلاك
ملك الندى فلكفه فى رقة دون الأنام تصرف الأملاك
كالغيث فوق منابر وأسرة والليث بين أسنة ومذاكى

32 - قال النابغة فى النعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

33 - قال الفقيه أبو عبد الله أكنسوس: مخاطباً أمير المؤمنين المولى الحسن

ابن محمد بالمغرب:

وهذا الدهرُ كالطوفان موجاً وطاعتك السفينُ وأنت نوحُ
وأنت خليفةُ الرحمن من لا تؤمّنه فمشربه نشوح

- ومن قول بعضهم ولعله الفقيه أبو محمد عبد الله الديمانى قال:

ألقى لك الزمنُ العصيَ زمامه وعنا لطاعةُ أمرك الثقلان
فالدهر دونك دافعٌ ومدافع وصروفه لكم من العبدان
فإذا أشرتم فى الزمان لمقصدٍ كان القضاء لكم من الأعوان

34 - وقال ابن دارج القسطلى الأندلسى:

بسعدك لا بسعد أو سعاد تنقل كلُّهم عن فؤادى
علمت بأنك الملكُ الذى لا تدين لغيره كلُّ البلاد
ومن يكن الزمانُ لديه عبداً ينل ما شاء من غير ارتياد
أرى الأقدارَ ما أمضيت تمضى أأنت تسوقها أم أنت حاد
أظنك أنت مفتاحُ المنايا وقد ملكت أرزاق العباد
أت كتبُ الأوائلِ عنك تشنى تبشرنا وتنذر قوم عاد
بأنك سوف تهلك كل عادٍ وتُنصر بالملائكة الشداد

35 - عبد الملك بن هذيل بن رزين ذو الرياستين من شعره يفخر فيقول:

أنا ملكٌ تجمعت في خمس كلِّها للأنام مُحْيٍ مَمِيتُ
هي ذهن وحكمة ومضاءٌ وكلامٌ في وقته وسكوتُ

36 - قال عصابة:

ما زالَ تجرَى على الدنيا حكومتُهُ حتَّى لقد ظنَّ كلُّ أنَّه الفلَكُ

- وقال أبو الشيص:

ملكٌ كان الموت يتبع قوله حتَّى يقالَ تطيعُهُ الأقدارُ

- وقال التنوخي:

يكونُ كما شاءَ والقضاءُ كأنَّه بأمرِهِم في الخلقِ سارٍ وواقعُ

37 - وقعت بمصر في أيام كافور الإخشيدي زلزلة عظيمة، وقال فيها بعد زوالها الشعراء وأنشدوه ما قالوه، فدخل أبو الطيب المتنبي عليه وأنشده شعرا من جملة:

ما زُلْزِلت مصرٌ عن كيدٍ أُريدَ بها وإنما رَقَصت من عَدْلِكُمْ فرحاً

فسر ووقع منه موقعا حسنا وأجازه بجائزة سنية!!

38 - وأنشد ابن رشيق تميم بن المعز بن باديس قصيدته التي أولها:

تثبت لا يخامرك اضطراب فقد خضعت لعزتك الرقاب
فغضب لقوله له تثبت . ولم يغضب لله حين شبهه به ، بخضوع رقاب
الخلق لعزته!! فقال له : مه ، أحال عهدك أم تغير أم قد أدبر بك الزمان فى ما
أدبر؟ ويلك متى عهدتى لا أثبت؟ إذا لم تجئنا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ،
وأمر بالرقعة التى كانت فيها القصيدة فمزقت ، ولم يقنعه ذلك حتى أدنوها إلى
السراج فأحرقت! . فخرج ابن رشيق يومئذ من عنده على غير طريق . .

39 - وفى تميم هذا التميم يقول أبو الحسين عبد الكريم بن فضال المعروف
بالحلوانى فيه :

عرسا بى فذا مناخ كريم هذه جمعة وهذا تميم
هذه الجنة التى وعد الله وهذا صراطه المستقيم
40 - [ولما ضربت مصر بزلزال شديد ، غادر الناس بيوتهم إلى الشوارع
خائفين] فقال محمد بن القاسم بن عاصم ، المعروف بصناجة الدوح شاعر الحاكم
[بأمر الله الخليفة الفاطمى] صاحب مصر :

بالحاكم العادل أضحى الدين معتليا نجل العلى سليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله فرحا

41 - وروى أن الحاكم المذكور: كان جالسا فى مجلسه العام وهو حفل
بأعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء] .
والقارئ فى أثناء ذلك كله يشير إلى الحاكم!! فلما فرغ من القراءة ، قرأ شخص

يعرف بابن المشجر وكان رجلاً صالحاً، وكان ذلك فى فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم، والخدام تدفع الذباب ولا يندفع.

فقرأ وكان حسن الصوت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج].

فاضطرب الحاضرون بسماع هذه الآية، حتى كأن الله تعالى أنزلها تكديبا للحاكم فى دعوى الألوهية. وسقط الحاكم من على سريره خوفاً من أن يقتل، وولى هارباً!. وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل إلى أن طمأنه، وسيره فى صورة رسول إلى بعض الجزائر، وأمر الربان أن لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه، فراه صاحبه فى النوم فسأله عن حاله، فقال: ما قصر الربان معنا، أرسى بنا على باب الجنة..

خاتمة الكتاب

تم الكتاب بحمد الله فى يوم السبت الموافق الثانى عشر من شهر رجب من عام ألف وأربعمائة وخمس وعشرين من هجرة المصطفى ﷺ. الموافق الثامن والعشرين من شهر أغسطس لعام ألفين وأربعة ميلادية.

ولا يخفى عليكم أن هذا العمل من صنع الإنسان. فمن وجد خطأ فليتمس لنا العذر. وليقدم لنا النصح مأجورا ومشكورا عليه وليعلمنا عبر بريدنا الإلكتروني:

[e-mail : helalalessa@hotmail.com]

وأستغفر الله من كل ما كتبت رغم حرصى، إن كان فيه ما لا يرضى الله ورسوله. وأسأل الله جل وعلا أن يقينى الزلل وأن يجعل عملى وسعياً خالصين لوجهه الكريم. فحسبى الله ونعم الوكيل وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. كتبه أضعف عباد الله لله/ هلال بن محمد عبدالله العيسى غفر الله له ولوالديه..

[كتب للمؤلف]

1	الأيام الخوالي فى أخبار النساء والإماء والجوارى .
2	حدائق الأدب .
3	كشف الخفاء عما جاء فى ذم النساء من له أذن فليسمع ومن له عين فليقرأ أقسى ما قالته العرب والعجم وفلاسفتهم على مر العصور فى كيد وغدر وعدم وفاء النساء وأقسى ما قاله الرجال والنساء فى النساء .
4	المدَّعون: ذكر نبأ من ادعى الألوهية والنبوة وقرآنهم المزعوم وخبر من تزندق .
5	العدل فى القرآن والسنة وأشهر قصص العدل فى الأدب والتاريخ .
6	قصص الجن وأخبارهم فى الدين والتاريخ والأدب العربى
7	قصص النفاق وأخبار المنافقين فى الدين والتاريخ والأدب العربى .
8	روائع أبيات الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الشعر والأدب العربى .
9	سيرة لقمان الحكيم حكمه ونصائحه ووصاياه .
10	جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان .
11	سيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حكمه ونصائحه ووصاياه .

[فهرس المراجع والمصادر]

اسم المرجع	المؤلف	المحقق	الناشر
تفسير الطبري	الطبري		دار الفكر بيروت
تفسير القرطبي	القرطبي		دار الشعب مصر
تفسير ابن كثير	إسماعيل بن كثير		دار الفكر بيروت
تفسير الصنعاني	عبد الرزاق الصنعاني	د/ مصطفى مسلم	مكتبة الرشد الرياض
تفسير ابن أبي حاتم	الرازي	اسعد محمد الطيب	المكتبة العصرية بيروت
تفسير الثوري	سفيان الثوري		دار الكتب العلمية بيروت
فيض القدير	عبد الرؤوف المناوي		المكتبة التجارية مصر
مسند أبي يعلى	احمد بن على المثنى	حسين سليم أسد	دار المأمون للتراث دمشق
مسند الإمام أحمد	احمد بن حنبل		مؤسسة قرطبة مصر
مسند البراز	أبو بكر احمد البراز	د/ محفوظ الرحمن زين الله	مؤسسة علوم القرآن بيروت
سنن سعيد بن منصور	سعيد الخرساني	حبيب الرحمن الأعظمي	الدار السلفية الهند
صحيح البخاري	البخاري	د/ مصطفى ديب البغا	دار ابن كثير بيروت
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة	الإمام شمس الدين السخاوي		دار الكتب العلمية بيروت
آداب الصحبة	أبو عبد الرحمن السلمي	مجدى فتحى السيد	دار الصحابة للتراث مصر
النهاية في غريب الأثر	الجزري	طاهر الزاوي ومحمد الطناحي	المكتبة العلمية بيروت
المستدرک على الصحيحين	النيسابوري	مصطفى عبد القادر	دار الكتب العلمية بيروت
الآداب الشرعية	المقدسي	شعيب الأرنؤوط وعمر القيام	مؤسسة الرسالة بيروت
الإصابة في تمييز الصحابة	العسقلاني	على محمد الجاوي	دار الجليل بيروت
الدعاء الطبراني	الطبراني	مصطفى عبد القادر	دار الكتب العلمية بيروت
المعجم الكبير	الطبراني	حمدي عبد المجيد لسلفي	مكتبة العلوم والحكم العراق
معجم البلدان	الحموي		دار الفكر بيروت
معجم السفر	أبو طاهر أحمد الأصبهاني	عبدالله عمر البارودي	المكتبة التجارية مكة المكرمة
معجم الأدباء	الحموي		دار الكتب العلمية بيروت
المدعون	هلال محمد العيسى		مكتبة الرشد الرياض
عمدة القارى	بدر الدين محمود العيني		دار إحياء التراث بيروت
الدر المنثور	السيوطي		دار الفكر بيروت

اسم المرجع	المؤلف	المحقق	الناشر
التواوين	أبو محمد عبدالله المقدسى	عبد القادر الأرنؤوط	دار الكتب العلمية بيروت
إثبات عذاب القبر	البیهقی	د/ شرف محمود القضاة	دار الفرقان عمان
مختار الصحاح	الرازی	محمود خاطر	مكتبة لبنان بيروت
البداية والنهاية	ابن كثير		مكتبة المعارف بيروت
نوادير الأصول في أحاديث الرسول	محمد بن علي الترمذی	عبد الرحمن عميرة	دار الجليل بيروت
الأحاديث المختارة	أبو عبدالله محمد المقدسى	عبدالمالك عبدالله دهيش	مكتبة النهضة الحديثة مكة
كشف الخفاء	إسماعيل بن محمد الجراحي	احمد القلاش	مؤسسة الرسالة بيروت
المزهر في علوم اللغة والأدب	السيوطي	فؤاد على منصور	دار الكتب العلمية بيروت
تخريج الأحاديث والآثار	جمال الدين عبدالله الزيلعي	عبدالله عبدالرحمن السعد	دار ابن خزيمة الرياض
بستان الواعظين ورياض السامعين	البغدادي	ايمن البحري	مؤسسة الكتب بيروت
حلية الأولياء	أبو نعيم أحمد الأصبهاني		دار الكتاب العربي بيروت
الإيضاح في علوم البلاغة	الفزويني	الشيخ بهيج غزاوي	دار إحياء العلوم بيروت
أساس البلاغة الفردوس بمأثور الخطاب	الزمخشري		دار الفكر بيروت
الفوائد	أبو عبد الله محمد منده	مجدى السيد إبراهيم	مكتبة القرآن مصر
طبقات الشافعية	أبو بكر بن احمد شعبة	د/ المحافظ عبد العليم خان	عالم الكتب بيروت
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد الزهري		دار صادر بيروت
البدء والتاريخ	المقدسى		مكتبة الثقافة الدينية مصر
تاريخ جرجان	حمزة بن يوسف الجرجاني	د/ محمد عبد المعيد خان	عالم الكتب بيروت
تاريخ مدينة دمشق	الشافعي	محب الدين العمري	دار الفكر بيروت
تاريخ ابن معين (رواية الدورى)	يحيى بن معين أبو زكريا	د/ احمد محمد نور سيف	مركز البحث العلمى مكة
حدائق الأدب	هلال محمد العيسى		مكتبة الرشد الرياض
فتوح مصر وأخبارها	أبو القاسم بن عبد الرحمن بن أعين	محمد الحجيري	دار الفكر بيروت
تلقيح فهوم أهل الأثر	ابن الجوزي		شركة دار الأرقم بيروت
مجمع الأمثال	النيسابورى	محمد محيى الدين	دار المعرفة بيروت
جمهرة الأمثال	العسكري		دار الفكر بيروت
جمهرة خطب العرب	أحمد وكي صفوت		المكتبة العلمية بيروت
غلط المحدثين	ألبستى	محمد على عبد الكريم	دار المأمون للتراث دمشق

اسم المرجع	المؤلف	المحقق	الناشر
الكامل في ضعفاء الرجال	عبدالله بن عدى الجرجاني	يحيى مختار غزاوي	دار الفكر بيروت
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال	البكري		بدون
سير أعلام النبلاء	الذهبي		مؤسسة الرسالة بيروت
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر	الثعالبي	د/ مفيد محمد قميحة	دار الكتب العلمية بيروت
الحماسة البصرية	البصري	مختار الدين أحمد	عالم الكتب بيروت
تاريخ أصبهان	أبو نعيم احمد الأصبهاني	سيد كسروي حسن	دار الكتب العلمية بيروت
تاريخ بغداد	أحمد بن علي البغدادي		دار الكتب العلمية بيروت
تاريخ واسط	اسلم بن سهل الرزاز	كور كيس عواد	عالم الكتب
تاريخ يعقوبى	اليعقوبى		دار صادر بيروت
الكامل في التاريخ	الشيبياني	عبدالله القاضي	دار الكتب العلمية بيروت
التدوين في أخبار قزوين	الفروينى	عزيز الله العطاري	دار الكتب العلمية بيروت
أخبار مكة	محمد بن إسحاق الفاكهي	عبدالمكع عبدالله الدهيش	دار خضر بيروت
المصنوع	علي محمد الهروي	عبد الفتاح أبو غدة	مؤسسة الرسالة بيروت
المحلى	علي بن احمد بن حزم	لجنة إحياء التراث العربى	دار الأفاق الجديدة بيروت
المنتظم	ابن الجوزى		دار صادر بيروت
أخبار المدينة	أبو زيد عمر البصرى	علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان	دار الكتب العلمية بيروت
الأمثال في الحديث النبوى	الأصبهاني	د/ عبد العلى عبدالحميد حام	الدار السلفية الهند
المستطرف في كل فن مستظرف	الأبشهى	مفيد قميحة	دار الكتب العلمية بيروت
سمط النجوم العوالى	عبد الملك بن حسين المكي	عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
مصنف ابن أبى شيبة	ابن أبى شيبة	كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد الرياض
محاضرات الأدباء	الأصبهاني		دار مكتبة الحياة بيروت
صبح الأعشى	الفزارى	عبد القادر زكار	وزارة الثقافة دمشق
تحفة الأحوذى	محمد عبدالرحمن أبو العلا		دار الكتب العلمية بيروت
مجمع الزوائد	الهيثمى		دار الريان للتراث بيروت
جامع العلوم والحكم	زين الدين أبى الفرج البغدادي	شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس	مؤسسة الرسالة بيروت

اسم المرجع	المؤلف	المحقق	الناشر
لسان العرب	ابن منظور		دار صادر بيروت
القاموس المحيط	الفيروز آبا ذى		مؤسسة الرسالة بيروت
ديوان المعاني	العسكري		دار الجيل بيروت
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب	التمسائي	د/ إحسان عباس	دار صادر بيروت
أدب النفوس	أبو عبدالله حارث المحاسبي	عبد القادر احمد عطا	دار الجيل بيروت
روضة العقلاء	محمد بن حبان ألبستي	محمد محيي الدين عبد الحميد	دار الكتب العلمية بيروت
الزاهر	أبو بكر محمد الأنباري	د/ حاتم صالح الضامن	مؤسسة الرسالة بيروت
ذيل الأمالي والنوادر	أبو علي القالي	لجنة إحياء التراث العربي	دار الجيل بيروت
خزانة الأدب	الحموي	عصام شقيو	دار ومكتبة الهلال بيروت
الأغاني	الأصفهاني	مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي	دار إحياء التراث العربي بيروت
الأمالي	القالي	لجنة إحياء التراث	دار الجيل بيروت
ثمرات الأوراق	الحموي		دار الفكر للطباعة والنشر بيروت
التجوم الزاهرة	جمال الدين بن تغري الأتابكي		وزارة الثقافة مصر
معجم الأدياء ذوي العاهات	كارين صادر ونصير الجواهري		دار صادر بيروت
الأغاني	الأصفهاني	مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي	دار إحياء التراث العربي بيروت
ثمار القلوب	الثعالبي	محمد أبو الفضل إبراهيم	دار المعارف مصر
بغية الطلب في تاريخ حلب	كمال الدين عمر بن أبي جرادة	د/ سهيل زكار	دار الفكر
الوافي بالوفيات	الصنفيدي	أحمد الأرنؤوط وتركي المصطفى	دار إحياء التراث بيروت
تاريخ الرسل والملوك	الطبري	محب الدين أبي سعيد	دار المعارف مصر
تاريخ دمشق	الشافعي		دار الفكر بيروت
الروضتين في أخبار الدولتين	المقدسي	إبراهيم الزريق	مؤسسة الرسالة بيروت
وفيات الأعيان	ابن خلكان	احسان عباس	دار الثقافة بيروت
الحلة السيرة	القضاعي	د/ حسني مؤنس	دار المعارف مصر
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى	الناصرى		دار الكتاب المغرب
أبجد العلوم	محمد صديق خان		دار ابن حزم بيروت
سلك الدرر	المرابي	أكرم حسن العلي	دار صادر بيروت
شعب الإيمان شعب الإيمان	أبو بكر أحمد البيهقي		دار الكتب العلمية بيروت

اسم المرجع	المؤلف	المحقق	الناشر
قول علي قول	حسن الكرمي	محمد السعيد بسيوني	دار لبنان بيروت
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	الشتري		دار الثقافة بيروت
مسند الشاميين	الطبراني	حمدي عبد المجيد السلفي	مؤسسة الرسالة بيروت
مسند عبد بن حميد	عبد بن حميد الكسي	صبيح البدرى السامرائي و محمود محمد خليل	مكتبة السنة مصر
مكتبة الشعر العربي	Cd		التراث لأبحاث الحاسب الأردن
ديوان البحري		د/ يوسف الشيخ محمد	دار الكتب العلمية بيروت
ديوان ابن حيوس		خليل مردم	دار صادر بيروت
ديوان ابن معنوق			دار صادر بيروت
ديوان أبي نواس		أحمد عبد المجيد الغزالي	دار الكتاب العربي بيروت
ديوان ابن هاني الأندلسي		د/ عمر فاروق الطباع	دار الأرقم للطباعة والنشر بيروت

[الفهرس]

الباب	اسم الباب	رقم الصفحة
	مقدمة الكتاب	5
الباب الأول	النفاق لغةً وشرعاً	13
الباب الثاني	القرآن الكريم والمنافقون	21
الباب الثالث	الأحاديث النبوية والنفاق	109
الباب الرابع	الفرق بين المدح والثناء وشكر النعمة والنفاق	147
الباب الخامس	قصص المنافقين وأخبارهم	169
الباب السادس	قالوا في النفاق	177
الباب السابع	الشعراء والنفاق	219
	خاتمة الكتاب	249
	كتب للمؤلف	251
	فهرس المراجع والمصادر	253
	الفهرس	259